القبائل الكردية

تأليف

ويليام ايغلتون

ترجمه

د. أحمد محمود خليل

كوردستان- ٢٠٠٦

- **اسم الكتاب:** القبائل الكردية
- تأليف: ويليام إيغلتون
- ترجمة: د. أحمد محمود خليل
- التصميم الداخلي: طـه حسين
- تصميم الغلاف: هوگر صديق
- مشرف الطبع: هيمن نجاة
- العدد: ١٠٠٠
- رقم الايداع: (٥٤)
- الطبعة الاولى: اربيل ٢٠٠٦
- السعر: (١٥٠٠) دينار
- الطبع: مطبعة وزارة التربية

تسلسل الكتاب: ٦١- (١٦٤)

العنوان

مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر

البريد الألكتروني: asokareem@ maktoob.com

رقم التلفون: 2260311

www.mukiryani.com

فهرس المحتوى

إهـــداء

أهدي هذا الكتاب

إلى حفيديّ أحمد، وأمينة،

وإلى كل من يتشبّث بجذوره،

لا ليعادي العالم،

بل ليتوحّد به،

ويجعله دوحة للسلام

– – –

أحمد

تقديم

ما جاء في هذا الكتاب هو ترجمة للبابين الأول والثاني من كتاب قيّم بعنوان (مدخل إلى السجاد الكردي ومنسوجات أخرى) An introduction To Kurdish Rugs And Other Weavings للباحث ويليام إيغلِتون Wiliam Eagleton، وقد صدر الكتاب بالإنكليزية في إنكلترا سنة (١٩٨٨م).

ويدور موضوع الكتاب في الأصل حول السجاد الكردي والمنسوجات الكردية الأخرى، وقد زوّد الباحث كتابه بكثير من الصور الملوّنة لأنماط السجادات والمنسوجات الكردية بشكل عام" لذا فهو تحفة فنية فولكلورية تستحق الدراسة، ويمكن للمهتمين بالجوانب الفنية والفولكلورية في المجتمع الكردي تحليل القيم الجمالية التي كانت سائدة في ذلك المجتمع، وما يتعلق بهذه القيم من بنى بيئية وميثولوجية ودينية واجتماعية واقتصادية، بل يمكن للباحث في هذا المجال أن يكتشف، عبر دراسة جماليات السجاد الكردي، العناصر الفنية المشتركة بين النسج الكردي والنسج عند جيران الكرد من العرب والفرس والترك والأرمن.

على أن ما لفت اهتمامي في الدرجة الأولى هو الباب الأول الدائر حول جذور الشعب الكردي وتاريخه، وهو مقتضب إلى حد كبير، والباب الثاني وموضوعه القبائل الكردية في كل من إيران وأذربيجان والعراق وتركيا وسوريا، وقد توسّع الباحث في هذا الباب توسّعًا كبيرًا ودقيقًا ومفيدًا، إلى درجة أنه يُعدّ موسوعة غنية بالمعلومات القيّمة عن القبائل الكردية على امتداد أرض كردستان.

وأخيرًا أشكر الزميـل التونسـي **الأسـتاذ عُبَيـد عُمُـرّي**، فقـد سـاعدني في توضيـح معاني بعض العبارات المعقّدة في الأصل الإنكليزي، كما أشكر ولدي **مصطفى** الذي أمضى أيامًا كثيرة في صيف سنة **٢٠٠٣**م، وهو يسـاعدني في تحديـد معـاني بعـض الكلمـات الإنكليزيـة تمهيـدًا لقيـامي بالترجمـة، وفي طباعـة المسـوّدة الأولى علـى الحاسوب. ولا أنسى الجهود الكبيرة التي بذلها ولدي **جوان** في طباعة المبيّضة الأخيرة لهذه الترجمة.

وأتمنى أن تكون المعلومات الواردة في هذا الكتاب مفيدة للمهتمّين بالمجتمع الكردي.

والله وليّ التوفيق.

أحمد محمود خليل

الفصل الاول

الشعب والتاريخ

(١)

الشعب الكردي

جرت العادة عبر القرون على البحث في شؤون الكرد من وجهات نظر مختلفة، فبالنسبة للقدماء يمثّل الكرد قبائل جبلية عنيفة، وكانوا ينحدرون بين فينة وأخرى باتجاه السهول كمقاتلين ينتمون إلى قبيلة أو أكثر، كما أنهم كانوا جزءًا من الحاجز القائم بين ميزوبوتاميا والهضبة الإيرانية وتركيا. وخلال القرن التاسع عشر احتفظ الكرد بولعهم الشهير بالحرب، وقد وُصِفوا بتعاطف من قبل الأوربيين بالبواسل الشديدي الجَلَد الذين زاروا الإمبراطوريتين العثمانية والفارسية.

ومع بداية القرن العشرين أصبح الكرد جزءًا من المسألة الشرقية*، وصاروا إحدى المجموعات القومية التي هزّت أسس الإمبراطورية العثمانية، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى بحث بعض الكرد عن موقع خاص للشعب الكردي على الخريطة السياسية، كما أن كفاح الأرمن القومي هدّد الكرد المجاورين لهم والمتداخلين معهم جزئيًا على الصعيد الجغرافي، وشجّعهم في الوقت نفسه على النهوض القومي، وبالنسبة للشعبين الكردي والأرمني كان استرداد وحدة تركيا وقوّتها تحت قيادة أتاتورك ﴿مصطفى كمال﴾ يعني انتهاء أيّ توقّع لتحقيق أهدافهما الاستقلالية.

وحينما اقتُطع العراق* من الإمبراطورية العثمانية انتقل مركز النشاط القومي الكردي نحو الجنوب، ووجد الكرد أنفسهم جزءًا من الإقليم الشمالي في دولة

* في الواقع أن الكورد قد اصبحوا جزءاً من المسألة الشرقية منذ القرن التاسع عشر. (الناشر)

* لم يكن العراق في ذلك الحين موجوداً بمعناه الحالي, لا ككيان سياسي ولا كأقليم موحد.(الناشر)

عربية[١]، إنهم كانوا قد استقرّوا في موقعهم الجغرافي الحديث المشار إليه كعِرق متجانس، ولكنهم قُسّموا من الناحية السياسية إلى أقليات في تركيا وإيران والعراق وسوريا والاتحاد السوفياتي [سابقًا].

إن الكرد ليسوا عِرقًا واحدًا، وهم لا يشكلّون وحدة دينية [٢]، ولا تضمّهم وحدة سياسية، شأنهم في ذلك شأن العرب، وكما أن العربي هو الشخص الذي يتكلم العربية ويعتقد أنه عربي، فكذلك الكردي هو ذاك الشخص الذي يتكلّم الكردية، ويعتقد أنه كردي[٣].

١- الحق أن ثورات الكرد وانتفاضاتهم في جنوبي كردستان بدأت قبل حوالي قرن من تقسيم الدولة العثمانية، وقبل تكوين دولة العراق في النصف الأول من القرن العشرين، فقد ثار أمراء (بابان) الكرد على العثمانيين منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي- المترجم.

٢- ثمة اتفاق بين المهتمّين بالتاريخ الكردي أن الكرد ينتمون إلى العرق الآري الذي يسمى (الهندو- أوربي) أيضًا، ويتكوّن الشعب الكردي من قبائل عديدة، وما يلاحظ اليوم من فروق إثنولوجية (الطول، اللون، شكل الجمجمة، إلخ) بين الكرد فمردّها إلى وفود قبائل من شعوب أخرى إلى= كردستان لأغراض حربية استيطانية في الدرجة الأولى، ثم اندماجهم في الشعب الكردي على مرور الزمن- المترجم.

٣- هذه المقارنة غير منطقية وغير موضوعية، فالعرب نشروا ثقافتهم تحت لواء الإسلام خارج موطنهم الأصلي (شبه الجزيرة العربية)، وباعتناق الإسلام، ومع مرور القرون، تعرّب كثيرون، وبات من الصعب تمييز العربي الأصيل من المستعرب" وها هنا تصحّ مقولة: العربي من تكلم العربية. أما الكرد فظلوا يقيمون في موطنهم التاريخي (كردستان)، ولم ينشروا ديناً، ولم يعمّموا اللغة الكردية على غيرهم من الشعوب تحت لواء الدين أو بتأثير ثقافة الحاكم" وهذا يعني أنهم لم يكرّدوا غيرهم، فالأغلبية الساحقة من الكرد هم كرد أقحاح، وليس كردًا باللسان فقط- المترجم.

وكردستان هي المنطقة التي غالبية سكانها من الكرد، ويعيش بعض الكرد خارج كردستان، لكنهم أقلّ نسبيًا. وعلى أية حال فإن هؤلاء الذين يعيشون خارج كردستان لهم نسّاجوهم، ووقعوا تحت تأثير بعض جيرانهم.

ولا يوجد اتفاق على عدد الكرد في الشرق الأوسط، فالكرد عادةً يضخّمون عددهم، والدول التي تحكمهم تقلّل أعدادهم، وبما أن الأرقام الكلية للسكان في العراق وإيران وتركيا موجودة، فبالاعتماد على النسب المسلّم بصحتها من حين إلى آخر يمكننا أن نحسب العدد الكلي الحديث للكرد، والتقديرات أقل مما يقوله الكرد، إن تلك النسب هي: ٢٠٪ في العراق، و١٥٪ في تركيا، و٨٪في إيران، وكانت الأعداد الكلية للسكان حسب إحصاءات عام (١٩٨٠م) كالآتي:

- ١٤ مليونًا في العراق.
- ٤٨ مليونًا في تركيا.
- ٤١ مليونًا في إيران.

ويعني هذا أن عدد الكرد هو:

- ٢,٨ مليونًا في العراق.
- ٧,٢ مليونًا في تركيا.
- ٣,٣ مليونًا في إيران.

المجموع ١٣,٣ مليون

ويضاف إلى هذا العدد على الأقل نصف مليون في سوريا، وبضع مئات الألوف في الاتحاد السوفياتي [سابقًا]، وهذا يعني أن عدد الكرد عام (١٩٨٧م) يُقدَّر بحوالي (١٥-٢٠) مليونًا[٤].

d′- لا تتوافر إحصاءات دقيقة بعدد الكرد في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا وأرمينيا، ويقدَّر عددهم الآن (عام ٢٠٠٥م) بما لا يقل عن ثلاثين مليوناً، ويقدّره بعض الكرد بحوالي أربعين مليونًا- المترجم.

(٢)

الأصول العرقية

توصّل العلماء الباحثون في أصل الكرد إلى نتائج مختلفة، وعلى أية حال فقد اتفقوا على أن الكرد- تحت أي مسمّى كان- دخلوا التاريخ كشعب جبلي سكن القسم الشمالي الغربي من إيران، ومن هناك تحرّكوا تدريجيًا جنوبًا وشمالاً وغربًا داخل آسيا الصغرى والعراق. ويعتقد معظم العلماء أن الكرد المعاصرين هم مزيج من شعوب قديمة تضم بعض أو كل الشعوب الآتية: الكاشيين kassites، المانّيين Manneans[٥]، والگوتيين Guti، والميديين Medes، والكردوخيين kardokhoi، ويذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت أن الكردوخ أرهقوا المرتزقة اليونان الذين كانوا بقيادة زينفون Xenophon سنة (٤٠١ق.م).

ويعتبر الكرد المعاصرون أنفسهم أحفاد الميديين الذين حكموا أجزاء من العراق وإيران بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد، والذين أُدمجوا في الإمبراطورية الأخمينية (٥٥٩-٣٣٠ ق.م). وقد انتقل الميديون إلى إيران من القوقاز[٦]، حاملين معهم لغتهم الهندو أوربية، ويمكننا أن نعرف من الكتابات المنقوشة على الصخر أن الآشوريين في أعالي ميزوبوتاميا شنّوا غزوات متكررة على المناطق الميدية (الكردية). واستطاع الميديون مع حلفائهم البابليين أن يستولوا على العاصمة

Đ- لعل الصواب: الميتانيون- المترجم.

đ- الصواب: عبر القوقاز- المترجم.

الآشورية نينوى ويدمّروها سنة (٦٠٧ ق.م)[٧]، والآن تصل حدود كردستان إلى بوّابات نينوى القديمة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة المارّ عبر الموصل.

وإلى جانب هذه الروايات العلمية ثمّة روايتان أسطوريتان حول أصل الكرد:

أما الرواية الأولى فقد أوردتها (شرف نامه) التي كُتبت في القرن السادس عشر الميلادي، ومفادها أن الطاغية أزدهاك[٨] ابتلي برأسي حيّتين نمتا على كتفيه، وكانت الرأسان لا تهدأان إلا بالتهام دماغ شابين يوميًا، وقد اكتفى الموظف القائم على هذا الأمر بدماغ شاب، ومزجه بدماغ خروف، وأطلق سراح الشاب الآخر، ولجأ الشباب الذين أطلق سراحهم إلى الجبال، وأسّسوا سلالة الكرد بزواجهم من نساء كنّ في تلك الجبال.

وأما الرواية الثانية فجاءت في كتب التراث العربية، وخلاصتها أن الملك سليمان أرسل إلى أوربا يطلب عدة مئات من العذراوات الجميلات، وفي طريقهن إلى سليمان اغتصبهنّ الجن، ومن ذرّيتهم نشأ الكرد.

ومهما يكن فإن معظم الباحثين في التاريخ الكردي اقتنعوا بالعلاقة بين الميديين والكرد، وكذلك هو رأي الكرد أنفسهم.

Ē- الصواب: سنة ٦١٢ ق.م- المترجم.

ē- يسمى في المصادر العربية (الضحّاك)- المترجم.

(٣)

اللغة الكردية

اللغة الكردية، كما هو شأن اللغة الميدية، فرع من اللغات الإيرانية، وهي من عائلة اللغات الهندو- أوربية، إنها على صلة بالفارسية القديمة والحديثة واللغة الدارية Dari[٩] في أفغانستان، إضافة إلى لغة الباشتو واللغة البلوشية. ويتكلّم بعض الكرد لغة ليست كردية تمامًا، وهذه لغة الزازا، وهم شيعة يقطنون كردستان تركيا، ولهذه اللغة صلة بالگورانيه Gurani والهَوْرامانية Hewramani في الطرف الآخر من الهلال التركي قرب الحدود العراقية الإيرانية غربي كرمنشاه.

وتشتمل اللغة الكردية على لهجات كثيرة، وتختلف هذه اللهجات اختلافًا شديدًا من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، تمامًا مثلما تختلف اللهجات العربية من مراكش إلى العراق، وبالقرب من وسط كردستان يظهر تبدّل حادّ في اللهجة على امتداد الطريق الممتدّ من الموصل والمتّجه شرقًا نحو ممرّ الجنوب في السليمانية أو مهاباد، وتدعى الموكرية أو السورانية. وفي أقصى الجنوب تندمج لهجة كرمنشاه أو لهجة الكَلْهُور Kalhor القريبة من الفارسية المعاصرة بلهجات لورستان، وإن بعض العلماء يصنّفون اللورية والبختيارية في عداد اللهجات الكردية الجنوبية.

ولعل بعض الدارسين يحاول البرهنة على أن الكرد الذين قام الشاه عباس، في القرن السابع عشر الميلادي، بتهجيرهم من القوقاز إلى ورامين Veramin في إيران، وأخيرًا إلى قوچان Quchan في إقليم خراسان، لا يعدّون من الكرد، باعتبار أن

Ĕ - لعل المقصود: الدرافيدية- المترجم.

لغتهم مزيج من الكردية والفارسية والتركية والتركمانية الشرقية" لكن المؤكّد أن سكّان قوچان كرد، وقد احتفظوا بالتقاليد الكردية والتصاميم الفنية القوقازية في نَسْجهم. وفي منطقة هامّة أخرى تنتج السجاد، وهي بيژار Bijar، يمتزج الكرد بالترك، ورغم ذلك فإن اللغة الكردية تعتبر محور الموروث الثقافي الكردي، وبدونها لا تكتمل الهوية الكردية.

(٤)

البنية الاجتماعية

إن عددًا من الأوروبيين الذين قاموا برحلات إلى بلاد الكرد وصفوا نظامهم الاجتماعي وعاداتهم، لكن مرّت فترة بين زمن جمع المعلومات وزمن طباعتها ونشرها، ولذا أحاط جوّ من تفكير العصر الفكتوري* أو تفكير القرون الوسطى بكثير مما كُتب حول الموضوع، واستمر ذلك إلى عام (١٩٨٠م)، ومنذ ذلك الحين كثيراً ما تمّ الاحتفاظ بتلك العادات في المناطق الأكثر عزلة من كردستان.

وإنه لمن الخطأ اتّخاذ كرد المدن معياراً في هذا المجال، فهم لا يختلفون عن سكان المدن والبلدان الأخرى في الشرق الأوسط، وقد أدخل تحوّل الكرد نحو التجارة والتكنولوجيا كثيرًا من التغيير في تقاليد النسج الكردي، والآن فإن البدائل البلاستيكية والصناعية تكاد تقوم مقام كل مادة كانت تصنع سابقًا من الصوف أو من أية خيوط حيوانية، وإن هذه الخيوط الصناعية، والحبال، والمحافظ، والأوعية، وأغطية الأرض، حلّت تدريجيًا محل مثيلاتها الطبيعية والفنية.

إن وصف المجتمع الكردي ينبغي أن يغطّي المشهد الذي يتغيّر على الدوام، ولكن على نحو أقل في القرى الأكثر عزلة، والكرد هم من الشعوب القليلة الذين يرتدي أبناؤها لباسهم التقليدي بكبرياء، ويحتفظون بكثير من مظاهر نظامهم القبلي

* العصر الفكتوري نسبةً إلى ملكة بريطانيا فكتوريا التي حكمت لأكثر من نصف قرن (من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين)، وقد شهدت بريطانيا في عهدها تطورات سياسية واقتصادية كبيرة جعلتها تستحق لقب الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

والإقطاعي الذي صان هويّتهم بشكل جيد، إلى أن استولت الدولة الحديثة على المصادر الأساسية للسلطة.

ولنتساءل: كيف يمكنك أن تميّز كرديًا أو كردية من تركيا أو إيران أو من البلاد العربية لا يرتدي ثيابه التقليدية؟ هذا ليس سهلاً على الدوام. وفي العراق، وفي معظم كردستان إيران، مازال الزيّ التقليدي الكردي للرجل والمرأة هو الذي يُرتدى. والحق أن انتشار الازدهار خلال الثلاثين سنة الماضية جعل من السهل أن يُبقي الكرد على أزيائهم المميَّزة والأنيقة، وكثيرًا ما يقارن الرحّالة هذا المظهر المحبَّب بمظهر الناس الريفيين الآخرين في الشرق الأوسط، أولئك الذين غالبًا ما تحوّلوا إلى ارتداء الألبسة الأوربية المستعملة.

إن الثياب التي يرتديها الكرد رجالاً ونساءً في إيران والعراق منسوجات مصنوعة بالآلة وبالنّول اليدوي، والشكل الأخير الضيّق يتألف من الصوف المغزول يدويًا ومن قماش الموهير Mohair اللذين يخاطان معًا ليشكّلا اللباس التقليدي الأصيل للرجال، سواء أكان سروالاً فضفاضًا ومنتفخًا كالكيس (رانك Rhanik)، يضيق عند الرّسغ في كردستان الجنوبية، أم كان مصنوعًا كأنبوب الموقد في الشمال، وكلاهما يُربَط عند الخصر بحزام من مواد ملوّنة يسميه الكرد (پشتيَن Pishtan).

وفي المدن أضافت الأصواف المصنوعة آليًا، والأقمشة الصناعية المنسوجة من مصادر عديدة، ألوانًا مشرقة وحيّة إلى الزيّ الكردي، أكثر من تلك الألوان الموجودة في الأصواف الطبيعية أو المصنوعة منزليًا.

وبالنسبة لنساء الكرد يتألف اللباس عادة من البضائع الصناعية المنسوجة آليًا والشبيهة بالحرير، لكن الألبسة المخيطة والمزخرفة والمطرّزة ما زالت تصنع يدويًا، ولباس الرأس لكل من الرجل والمرأة يغلب عليه القبّعات الحريرية والقطنية أو الصناعية، تُحبك عليها زخارف يدوية، وتدعى بالكردية (كلاّو Kulah). أما

النساء الثريات فيعلّقن بشعورهن ورؤوسهن قطعًا من الحلي الذهبية والفضية التي تمنح وجوههن غنًى وأشكالاً مثيرة.

وقد تشكّل النظام الاجتماعي الكردي على أسس قبلية وإقطاعية أو على ولاءات دينية، واندمجت تلك الأسس في كثير من صيغ الاتحادات، وحتى عندما كان النظام القبلي- الإقطاعي مزدهراً قبل الحرب العالمية الأولى لم يكن جميع الكرد منتمين إليه. ولكن الذين لا ينتمون إليه يعتبرون من مرتبة اجتماعية وضعية، وإلى الآن يتمتّع الزعماء القبليون بمكانة بارزة، وينبع تأثيرهم من قدراتهم الاقتصادية وعلاقاتهم بالسلطات الحاكمة, وفي الانتخابات الحرة يُنتخب كثيرون منهم في المناصب؛ لأنهم يعرفون الشخصيات التي يُتوقّع أن يستفاد منها في مصلحة قبائلهم.

وليس لكل القبائل نظام متماثل؛ إن البنية الكلاسيكية (التقليدية) تبدأ بالظهور مع الأسر الممتدّة التي يكثر عدد أفرادها، أو مع الوحدات الصغيرة، أو الفروع التي يرتبط أفرادها فيما بينهم بالقرابة السلالية أو بالتزاوج، إن أسرة واحدة فقط تسيطر عادة على الفئة (تسمّى بالكردية تيره Tira)، وإنّ فئة واحدة وأحلافها تقوم عادة بمهام القيادة في القبيلة كلها؛ سواء أكان عدها بالمئات أم بالآلاف.

وفي القبائل الأضخم عدداً تصبح العلاقات أكثر تعقيداً، وحينما تتنافس فروع القبيلة على السيادة فقد تبقى النتيجة غير محسومة، وفي حالات كثيرة تتركّز المنافسة بين فرعين متضادّين، وإذا تطلّع أحدهما إلى الزعامة بالتعاون مع الحكومة المركزية، فإن الفرع الآخر يستفيد من الكرد المعارضين للحكومة، وقد تنتزع الزعامة من الفرع الآخر في فرصة مناسبة.

وهكذا تظل القبائل ويظل زعماؤها في حالة اضطراب، ويحلّ الفرع الأكثر إقدامًا وولعًا بالقتال محلّ الفرع الذي يخلد إلى الدعة ورغد العيش، وفي الماضي كانت

السلطات، سواء أكانت بريطانية أم فرنسية أم عثمانية أم فارسية، تسرع مرة تلو أخرى إلى دعم القبائل المفضّلة لديها، وغالبًا ما كانت تعوق عملية الاختيار، ولا تدعها تسير بشكل طبيعي.

وبمجرد زوال هذا التدخل الخارجي كانت المنظومة تنهار، ويسقط الزعماء القبليون الجدد والفروع القبلية والأحزاب السياسية في الخُواء. وإن انبثاق الزعماء الذين يكونون معارضين للطبقة المهيمنة غالباً ما يكتسب الآن طابعاً راديكالياً (تحررياً) أو أيديولوجياً ثورياً.

إن التشكيلات القبلية المتنوّعة الموجودة في كردستان غالبًا ما تتطوّر حينما تتولّى عشيرة مزعجة، أو قبيلة صغيرة قادمة من الخارج، السلطة في منطقة انعدمت فيها الروابط القبلية، أو أصبحت غير فاعلة، إن هذه الزعامة الجديدة عادةً لا تمتلك روابط سلالية مع أفراد القبيلة، لكنها تكسب زعامتها عبر التفاعل المركّب مع حلفائها الأوفياء وعبر الضغوط. ومثل هذا النظام هو إقطاعي أكثر مما هو قبلي، ويمكن أن يلاحَظ ذلك في القبائل الأضخم عدداً والأرفع مقامًا، مثل قبيلة جاف Jaf وقبيلة پشدەر Pizhdar في العراق، وقبيلة سَنْجابي Sanjabi وقبيلة دێبۆكرى Dehbokri في إيران.

أضف إلى هذا أن عبارات وصف الزعماء في القبائل الكردية مربكة، وقد تراجعت العبارات القليلة البسيطة المعتادة؛ وعلى سبيل المثال يكون الشيخ بين العرب عادة زعيمًا قبليًا ليس له وظيفة دينية، أما بين الكرد فإن مصطلح (شيخ) يشير إلى شخصية دينية بارزة، أو عضو له مقام خاص في عائلته، علمًا بأنه يمكن أن يمارس سلطة دنيوية أيضًا.

وثمة ألقاب دينية أخرى تستخدم من قبل الكرد، هي (سيّد)، ويعني هذا اللقب أن حامله من سلالة النبـي محمد، ويمكن أن يكون (السيد) شيخًا، لكن الشيخ لا يكون

سيّدًا على الأغلب، وهناك لقب أقل دينية ودنيوية يُستعمل أحيانًا من قبل جماعات خاصة (ذات عقائد سرية)، هو (مِير) Mir ولعله مشتق من كلمة (أمير)، ومثال ذلك لقب (مِير) عند الإيزديين.

إن هذه الألقاب القبلية والإقطاعية اقتُبست من الاستعمالات العربية والتركية والفارسية، وكانت غالبًا ما تُمنح في الأصل من السلطة المركزية لتمييز الأتباع المخلصين، واللقب الكردي الأكثر شعبية هو (آغا) Agha و(بەگ) Beg التي تنطق (بيه) Bey حينما تشير إلى شخصيات تركية، وهذه الألقاب أقل استعمالاً في الغالب، وقد تشتمل على مضامين ذات صلة بالإقطاعية، وفي إيران تقاد بعض القبائل الأكثر نفوذًا من قبل الخانات Khans وعلى الأقل هناك فرع من قبيلة ديبوكري في بُوكان Bukan تتزعّمها عائلة إيلْخاني زاده، وفي أحوال نادرة يُمنح اللقب العثماني (پاشا) للشخصيات ذات التأثير البارز أو الشهيرة.

إن جميع هذه الألقاب القبلية- الإقطاعية تنتقل عبر النسب الذكوري الذي كان يسري على الإناث أيضًا، ويكون مشتركًا عند الزواج بين الآباء والإخوة والأخوات، وجميع هذه الألقاب القبلية تتبع الأسماء مثل: حسين آغا، وطاهر خان، أو مصطفى بيه (بگ)، وفي كل الأحوال تتقدّم الألقاب الدينية على الأسماء، مثل (سيّد أحمد) أو (شيخ عثمان).

إن العديد من القبائل اكتسبت شهرة تتوزّع بين السوء والإيذاء وقطع الطرق، والحقيقة أن قليلاً من القبائل الكردية أو فروعها تمارس الحياة الرعوية بشكل كلي طوال العام. إن القسم الأكبر منها هو شبه رحّالة، وقد استقرّت في قرى ضمن المناطق التي تتحرك القبائل إليها في المراعي العالية خلال الربيع، وتعود في فصل الخريف، وفي جميع كردستان يقدّر السكان الرحّالة بأقل من نصف مليون، وقد يتراوح عددهم الكلي بين مليونين إذا ضممنا إليهم أنصاف الرحّالة.

إن الكرد العاديين يعيشون في قرى صغيرة، وحينما يكون الانحدار شديدًا تبدو بيوت الكرد مثل مدرّجات مسطّحة، وهي بيوت مسقوفة بأعمدة من شجر الحور، ومنبسطة كأنها مصاطب تقع إحداها أمام الأخرى، والشكل المعماري النمطي لهذا البناء البسيط أشبه بشرفة مسقوفة أكثر من كونه شبيهاً بغرفة مفتوحة، وهو يقع على الغالب في الطابق الثاني فوق غرفتي التخزين، ويكون مقراً لرئيس الأسرة أو زعيم القبيلة. أما في البيوت الأكثر حشمة وتحفّظاً فتكون هذه الشرفات علي شكل أروقة، وتكون مغطّاة حتى المدخل الرئيسي.

وحينما يكون بالإمكان تُستخدم الحجارة غير المشذّبة في البناء، وغالبًا ما يُترك وجهها الخارجي غير مصقول، لكنها تكون متداخلة بشكل محكَم، ويقع البيت تحت سيطرة المرأة، باستثناء غرفة الاستقبال أو الديوان، وحينما يكون الطقس متقلّبًا يُخصَّص للنسج مكان في غرفة صغيرة، وغالبًا ما تكون مظلمةً داخل البيت، وفي العادة يكون النّول عموديًا نظرًا لأن النول الأفقي يتطلّب فراغًا أوسع، وبما أن الحياكة على النول مقتصرة على قسم الحريم فمعظم الزوّار لا يكونون مطّلعين على وجودها إلا إذا طلبوا ذلك.

إن الإشارة إلى قسم الحريم لا يعني أن النساء الكرديات معزولات على نحو صارم، فالحق أنهن مشهورات بحريتهن واستقلال شخصياتهن وجمالهن، إنهن لسن محجّبات، وغالبًا ما يظهرن للزوّار الأجانب، ولا سيما إذا كانت معهم امرأة، وعلى أية حال إذا لزم الأمر اجتماع الرجال في الخارج فإن النساء عادة يبقين في الجهة الخلفية، ويتمّ تقديم الطعام والشراب بمساعدة الرجال أو أبناء المضيف.

وتضم القرية الكردية الناس والحيوانات التي تخرج يوميًا إلى المناطق المحيطة، لتتوجّه إلى الحقول أو تبحث عن المرعى، إن الأغنام والماعز والأبقار والدجاج والإوزّ والبطّ تجتمع في الساحات الصغيرة قرب البيوت، وفي أحسن الأحوال، حينما يكون

الزمان طيبًا، وتكون أسعار الخضار مرتفعة، فإن الحياة القروية والرعوية تبدو مثالية، وعلى أية حال فإن الحيـاة على مستوى الكفاف في زمن القحط، وفي إطـار تقاليـد الحيـاة الإسلامية فإن الترابط بين أفراد العـائلة والقبيـلة يجعل كل فرد حاصلاً على الحاجات الأساسية للحياة.

إن الأغنام والماعز تنتج الصوف، وتنتج الأبقار الحليب الذي يعدّ غذاء رئيسيًا للكرد، وبالمقارنة مع اللبن المصنوع من حليب الأغنام الكردية فإن أفضل الألبان المصنوعة من حليب الأبقار يبدو عديم النكهة، ويمكن أن يؤكل الحليب طازجًا، ولكنه غالبًا ما يُحوَّل إلى لبن، ثم يُخَضّ في كيس مصنوع من القماش أو من جلد الماعز* لإزالة قـدر كبير من السوائل منـه، ويُصنع منـه اللبن الذي يسمّى بالكردية (ماسْت) Mast، كما تُصنع منه أنواع مختلفة من الجبن.

وقد أصبح الشاي الثقيل الكثير السكر شرابًا مفضّلاً ومثيرًا عند الكرد، وخاصة في الطقس البارد. أما في الصيف الحار فيُقدَّم اللبن ممزوجًا بالماء والملح كشراب طازج منعش، ويستهلك هذا الشراب في كثير من البلدان؛ بدءًا من بلغاريا غربًا إلى الهنـد شرقًا. وباستثناء قلة من الرعويين الفقراء الذين يعتمدون على قطعانهم بشكل كلّي فإن الكرد شعب مزارع، إنهم يزرعون القمح والشعير والأرز والخضار حيثما يتوافر الماء، ويساعد مناخ كردستان على ذلك، وفي كثير من المناطق تُكون الزراعة هي المحصول الرئيسي الذي يدرّ النقود على الكرد.

---

* هذا الكيس الذي يُعرف بـ(مەشكه) لا يزال يستخدم في بعض القرى الكردية. (الناشر)

(٥)

الدين في المجتمع الكردي

لقد قيلت روايات متناقضة كثيرة عن الكرد وعقيدتهم، فالبعض ذكر أن الكرد أهملوا الشعائر الإسلامية مثل الصلوات الخمس يوميًا، وآخرون ذهبوا إلى أن تحت السطح الخارجي لإسلام الكرد توجد ممارسات وعقائد وثنية وزردشتية، ويقال إن لطقوس الطوائف الباطنية علاقة بذلك*.

وفي روايات أخرى صُنّف الكرد على أنهم سنّيون متعصبون، ألم يساندوا حركة القادة الدينيين الرجعيين في الدفاع عن الخلافة ضد الجمهورية التركية؟** وفي الحين نفسه اتُّهم الكرد باضطهاد الأرمـن والمسيحيين الآخرين باسم الإسلام، وبالرغم من أننا لا نستطيع إطلاق حكم عامّ حول الكرد وعقيدتهم فإن من غير الحكمة أن نتجاهل دور الإسلام الهامّ في تاريخهم وفي حياتهم اليومية.

إن معظم الكرد مسلمون سنّة من المذهب الشافعي على الصعيد التشريعي، وجيرانهم في شمالي إيران هم الشيعة الأذربيجانيون، وبعيدًا إلى الجنوب وراء سننداج

---

* كان الأجدر أن يذكر المؤلف اصحاب تلك الروايات. (الناشر)

** ربما يقصد بذلك اتفاضة الشيخ سعيد پيران عام ١٩٢٥ والتي نُسجت حولها اقوال وآراء مخالفة للحقيقة التأريخية، من قبل وسائل الاعلام التركية وبعض الدول المؤيدة لتركيا. ولم يكن الغرض من تلك الاتهامات سوى محاولة لتجريد الانتفاضة من طابعها القومي المناهض للظلم والهيمنة التركية. (الناشر)

Sanandaj يعتنق الكرد المذهب الشيعي إلى حد كبير، وكذلك جيرانهم الفرس واللُّور[١٠]. وجيران الكرد في تركيا والعراق هم من السُّنة على المذهب الحنفي.

والحق أنه توجد اختلافات لغوية وثقافية على حدود الكرد مع جيرانهم في تركيا والعراق أكثر مما هي بين الكرد والفرس، وهذا ما ساعد على الاحتفاظ بخصوصية مميّزات الحياة الكردية والثقافية، كما أنها تسبّب الريبة والعداوة. وحينما تختلف اللغة والدين معًا، كما هو الأمر بين الكرد السُنّة والأذريين الشيعة يصبح الاختلاف أكثر عمقًا، وحينما يتحقّق التشابه في اللغة والدين، كما هـو بين الكرد الشيعة في كرمنشاه وجيرانهم الفرس، فإن فجوة الاختلاف تضيق.

وليس ثمة كثير من الشيعة بين الكرد في فارس والكرد في تركيا، إن بين الكُرْمانج والكرد المتكلمين بلهجة الزازا في تركيا آلافًا من العلويين الذين يُعدّون شيعة عادة، وفي الطرف الآخر من كردستان توجد طائفة (أهلي حق) بين الكرد المتكلّمين بال(گوراني) في قبيلة هَوْرامان (أُورامان) وقبيلة سَنْجابي الضخمة التي يعتنق خاناتها المذهب الشيعي، وطائفة (أهلي حق) من المؤمنين بتأليه الأئمّة ، وهم على المذهب الباطني، وقد أسس سلطان إسحاق هذه الطائفة في القرن السادس عشر الميلادي كنظام صوفي للدراويش، وقد تجاوز أتبـاعه المبادئ الإسلامية التقليدية، ويعـدّون خارجين على المذاهب الإسلامية الرئيسة، ويعيش هؤلاء قرب كركوك، ويسمّون أنفسهم (الكاكائية).

والمجموعة الكردية الأكبر التي تختلف كثيرًا عن السُنّة والشيعة هم الإيزديون[١١] الذين يسمّون عادة (عبدة الشيطان)*، ويوجد الإيزديون في جنوبي تركيا قرب

Čć- فرع من الكرد- المترجم.

الحدود السورية، وفي منطقة جبل سنجار الأبعد جنوبًا، وفي شرقي العراق أيضًا، كما أنهم يعيشون قرب منطقة (شيخان) على بعد خمسين كيلومترًا شمالي الموصل، حيث يقع المزار المقدّس للشيخ آدي (عَدِي) في واد ضيّق مشجَّر، ويقوم الأمير تحسين بك زعيم الإيزديين بخدمة المزار.

إن الإيزديين لفتوا على الدوام اهتمام الرّحالة الأوربيين، ونُشرت معلومات قيّمة متفاوتة في الصحة حول عقيدتهم، ورغم أنهم طائفة بعيدة عن الإسلام بوضوح من حيث الأصول، مثل الدروز في سوريا ولبنان، فإنهم فقدوا اتصالهم بالعقيدة الأصلية، وهذا ما جعلهم مضطَهدين، ودفعهم ذلك إلى مزيد من العزلة، إضافة إلى أنه حملهم على إخفاء معتقداتهم الدينية، وقد هاجر بعض الإيزديين إلى منطقة القوقاز الروسية في منتصف القرن التاسع عشر هربًا من الاضطهاد.

ومن الواضح أن الإيزديين لا يعبدون الشيطان، وإنما يعدّونه مجرد قوة جبّارة مؤثّرة في الكون لا ينبغي تجاهلها، ومن جملة تقاليدهم تجنّب لفظ أيّة كلمة تبدأ بحرف (ش sh)، لأن كلمة (شيطان) بالعربية تبدأ بهذا الحرف، ويميل الإيزديون إلى ارتداء الثياب البيض والعمائم الملوّنة الفاتحة الألوان، واعتاد الرجال في جبل سنجار ارتداء قبّعات أسطوانية الشكل تتدلّى منها ضفائر طويلة، وهذا النمط من القبّعات نادرًا ما يُرى الآن، واعتادت مجموعات الرقص الشعبي الإيزدية على إلصاق ضفائر مزيّفة بقبّعاتهم كما يفعل مصارعو الثيران في إسبانيا.

ČĆ- ورد في الأصل: اليزيديون. والصواب (الإيزديون)" أي: أتباع (أزدان/يزدان)، وهو من أسماء الله الحسنى في التراث الكردي الديني القديم- المترجم.

* هذا افتراء لا أساس له من الصحة، فان الايزديين يؤمنون بوحدانية الله سبحانه وتعالى. (الناشر)

ونعتقد أن الجماعات المسيحية تشكّل إحدى المعضلات في كردستان، لأن قسمًا منها- وخاصة الآشوريين- عاشوا مع الكرد على نحو وثيق عبر قرون مديدة، إلى درجة أن ثقافتهم وثقافة الكرد متماثلة، والحق أن تاريخ المسيحيين في كردستان مثير بقدر ما هو محيّر، وفي معرض القيام بتصنيف الطوائف المسيحية المختلفة يفضَّل البدء بالحديث عن ثلاث كنائس (طوائف) قديمة في المنطقة:

- الكنيسة الأرمنية الناطقة باللغة الأرمنية.

- الكنيسة النسطورية (الآشورية التي تستخدم السريانية الشرقية).

- والكنيسة السورية الأرثوذكسية (اليعقوبية) التي تستخدم اللغة السريانية الغربية.

إن لكل واحدة من هذه الكنائس بطريركها الخاص وطقوسها الشرقية، وثمة اصطلاح رديف يقترن باسم كل كنيسة: كنيسة الأرمن الكاثوليك، الكلدان، والسريان الكاثوليك، وتحتفظ هذه المناصب البابوية الكبيرة بشعائرها الشرقية.

ورغم أن الأرمن يسكنون مع الكرد في بعض أجزاء كردستان فإن لهم تاريخهم الخاص المستقل. والآشوريون هم من الطوائف المسيحية الأخرى في كردستان، ولهم اسم رديف هو (النسطوريون) أو (الكلدان)، ويجد هؤلاء أن تاريخهم متواصل دائمًا مع جيرانهم الكرد، ومع ذلك فإن معظم الآشوريين تجنّبوا الإقامة في قلب الأراضي الكردية (شرقي الأناضول)، بحثًا عن الملاذ الآمن في مناطق أبعد من ذلك جنوبًا خلال الحرب العالمية الأولى.

ولا غرابة أن يشار إلى شيوخ الكرد والسادة وأتباعهم على أنهم في الغالب قبائل، والمثال البارز على ذلك في بعض الحالات هم البارزانيون في العراق، إن لهم تشكيلة اجتماعية مختلفة، وتلك الآلية مهمة، فالبارزانيون في الحقيقة مزيج من قبائل صغيرة، ومن كرد لا عشائر لهم، اعتبروا شيوخ بارزان زعمائهم الروحيين والدنيويين

لأجيال طويلة، ولهذه الظاهرة أهمية بالنسبة إلى العديد من الحركات السياسية الكردية خلال القرن الماضي[١٢].

وللقبيلة تحديد دقيق من حيث الحجم، ويمكن أن تنشأ اتحادات قبلية، لكنها لا تنجح على المدى الطويل في كردستان. وعلى أية حال لا تقتصر زعامة الزعيم الديني على أتباعه أو على مناطق محدّدة، إنه يستطيع استقطاب عدد من القبائل أو من الكرد غير القبليين، أولئك الذين يبحثون عن منقذ أوحام أوزعيم ديني.

وفي كردستان شيوخ طريقتين صوفيتين يتمتّعون بزعامة روحية مقرونة بنهج صوفي (رمزي) لا وجود له في الإسلام السنّي، وقد تطوّرت هاتان الطريقتان في الفترة بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين. ومازال المقام الأول في كردستان للطريقة القادرية التي أسّسها الشيخ عبدالقادر الگيلانى (١٠٧٧-١١٦٦م)، ويوجد قبره في بغداد. وفي المرتبة الثانية تأتي الطريقة النقشبندية التي أسّسها محمد بهاء الدين البخاري (١٣١٧-١٣٨٩م). والطريقة الصوفية الثالثة التي توجد أحيانًا في بعض مناطق كردستان هي الطريقة الرفاعية، وهي تستمّد شهرتها من طقوسها السحرية مع النار والسيوف، وبخلاف الطريقتين القادرية والنقشبدنية فإنه ليس للطريقة الرفاعية نفوذ سياسي في كردستان.

وإلى عهد مبكّر من القرن التاسع عشر الميلادي كانت الطريقة القادرية هي السائدة، ومازالت تُمثَّل من قبل السادة البرزنجية قرب مدينة السليمانية، ومن قبل السادة الطالبانية قرب مدينة كِفْري في العراق، وعلى أية حال بدأت الطريقة النقشبدنية تغلب على الساحة بعد سنة (١٨٠٨م)؛ وذلك حينما عاد مولانا الشيخ خالد- وهو من قبيلة جاف- إلى كردستان قادمًا من الهند، حيث تعلّم الطريقة النقشبدنية الصوفية في دلهي، وبعودته أثار خصومات وعداوات كثيرة في المؤسسة

(١٢)- المقصود هو القرن التاسع عشر- المترجم.

الدينية، لكنه نجح في نشر التعاليم النقشبدنية، وفي تداول مصطلح خليفة بين الطلبة الدينيين، وكان بعضهم سابقًا من أتباع الطريقة القادرية.

ومنذ ذلك الحين ظهرت المراكز النقشبدنية (الخانقاه) على خريطة كردستان: ففي شمدينان الواقعة في القسم التركي من هكّاري ظهر شيخ عُبيد الله، وعائلة (علاء الدين) وعُبيد الله زينو، وظهرت خانقاه العائلة في كركوك، وظهر شيخ عثمان بيارة (من بيارة) قرب حلبجة، ونكتفي بذكر هذه الأسماء القليلة.

وجدير بالذكر أن معظم هذه المراكز الدينية (الخانقاهات) هي بالقرب من الحدود الدولية للعراق وتركيا وإيران، ولذا فإن مواقعها استراتيجية، لكنها تصبح مواقع مضطربة ومقلقة حينما تنشب نزاعات حربية.

إن كرامات وبركات السادة والشيوخ تنتقل عادة بالوراثة، وأحيانًا تشتمل على إمكانية القيام بمعجزة محدودة، ويمكن أن يتّصف الخليفة (نائب الشيخ) بخصال سامية جليلة، ومن بين أبناء شيوخ الصوفية عادة يؤهَّل أفضلهم لحمل الإرث الديني- وفي بعض الأحيان لحمل الإرث السياسي- منذ عهد مبكّر من عمره، وكما هي الحال عند البارزانيين فإن الشيخ أحمد أصبح الزعيم الروحي، بينما تولى أخوه الأصغر ملا مصطفى القيادة السياسية والعسكرية.

وتقوم الطريقة القادرية على حالة الجذب التي تتحقّق بأنغام الناي ودقّات الدفوف وحركة الجسم على نحو يشبه الرقص، لكنها تفتقر إلى النمط المدروس والدقيق الذي يتوافر في حركات الدراويش المولوية الدوّارين في قونية بتركيا.

أما الطريقة النقشبدنية فهي أكثر تأمّلية، إنها تقوم على تكرار الأسماء المقدّسة والآيات التي تذكّر بالموت، وفي الحالين فإن مرحلة النشوة الروحية يمكن أن تتحقّق، ويمكن أن تكون حالة الجذب (الصَرَع) هادئة أحيانًا، ولذا لا عجب أن يكون الزعماء الروحيون قادرين على تحويل تأثيرهم الروحي إلى حقل السياسة.

الفصل الثاني

تاريخ

الشعب الكردي

(١)

تاريخ الكرد
قبل القرن التاسع عشر

لا مجال الآن لكتابة تاريخ الكرد على نحو شامل ومفصّل، ومهما يكن فإن شيئًا من عدم التكلّف إزاء تاريخهم يجعله أيسر فهمًا، ويساعد على تقدير مدى إسهامهم في فن النسج، وإذا وضعنا جانبًا الحديث عن الانتماء إلى الميديين الشجعان، والاندماج مؤخّرًا بالفرس في الهضبة الإيرانية، وبالترك في المرتفعات الجبلية، فإن اسم (الكرد) دخل التاريخ بعد غزو العرب المسلمين لميزوبوتاميا وإيران في القرن السابع الميلادي والقرن الأول الهجري*، وذلك بعد المعركة الحاسمة التي هزم فيها العربُ المسلمون الفرسَ الساسانيين في القادسية جنوبي بغداد سنة (٦٣٧م). وقد تراجعت مقاومة الكرد للفاتحين العرب تدريجيًا، شأنها في ذلك شأن مقاومة الفرس، وتحوّلوا من العقيدة الزردشتية والوثنية والمسيحية إلى الإسلام[١٣].

---

* هذا غير صحيح فأسم الكورد قد دخل التأريخ قبل مجيء الاسلام الى المنطقة بالآف السنين, حتى أن السومريين قد استخدموا كلمة (الكورد) في حدود ثلاثة آلاف سنة ق.م للدلالة على سكان جبال كوردستان، والاكثر من ذلك أن الكورد كانوا دوماً عنصراً فعالاً ومشاركاً في صنع الاحداث التأريخية لمنطقة الشرق الاوسط خلال القرون التي سبقت ظهور الاسلام، والدولة الميدية وما ذكره زينفون حول الكورد خير دليل على ذلك. (الناشر)

(١٣)- تجاوز الكرد المرحلة الوثنية منذ ما قبل الميلاد بحوالي خمسة قرون على أقل تقدير؛ أي منذ اعتناقهم الأزدائية ثم الزردشتية، ولم يكونوا وثنيين حينما وصلت= الفتوحات الإسلامية

ولم يلعب الكرد دورًا هامًا في الحركات والثورات التي نقلت الخلافة من مدينة دمشق الأموية إلى بغداد تحت لواء الحكم العباسي سنة (٧٥٠م)[١٤]*، لكن مع

إلى كردستان، لكن لا تخلو الأزدائية والزردشتية من طقوس ورموز تعود بجذورها إلى العصر الوثني؛ ولعل منها، على سبيل المثال، إشعال النار في المعابد الزردشتية باعتبارها رمزًا إلى النور، فقد كانت النار رمزاً إلى الشمس في منظومة العقيدة الشمسية. والحق أن انتقال الطقوس والرموز من المنظومات العقدية الوثنية إلى الديانات الأكثر تطوّرًا أمر مألوف ومطّرد، مع الأخذ بالحسبان أن هذه الطقوس والرموز تكتسب، داخل كل منظومة عقدية، دلالات تختلف عما كانت تدل عليه في المنظومة العقدية السابقة- المترجم.

(١٤)- إن قلّة المعلومات الخاصة بدور الكرد في تاريخ الإسلام هو الذي أوصل الكاتب وغيره إلى هذا التصوّر، وإلا فإن الأخبار الموثّقة لا تدع مجالاً للشك في المهام الجسام التي كانت موكلة إلى القائد (أبي مسلم الخراساني) في الثورة العباسية، وقد صرّح شاعر البلاط العباسي أبو دُلامة بانتماء أبي مسلم إلى الكرد في قصيدة يمدح بها الخليفة العباسي الثاني أبا جعفر المنصور الذي فتك بأبي مسلم غيلة، وهذا يعني أن البلاط العباسي نفسه والمقرّبين منه كانوا على علم بحقيقة أصل أبي مسلم رغم تكتّم هذا الأخير عليه.

وعدا هذا فقد كان يحيى بن خالد البرمكي من كبار الشخصيات التي ساهمت في نشر الدعوة العباسية وانتصارها، وكان أحد أعضاء ما يسمّى (اللجنة المركزية) في الحركة العباسية إذا أخذنا بالمصطلحات الحزبية المعاصرة، ولا يخفى الدور الخطير الذي قام به البرامكة في العصر العباسي منذ عهد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفّاح إلى عهد الخليفة الخامس هارون الرشيد الذي فتك بهم لأسباب= لا مجال الآن لعرضها. وقد أكّد القاضي والمؤرّخ ابن خَلّكان انتماء البرامكة إلى قبيلة (زَرْزا/زارْزا) الكردية، وكان ابن خلّكان نفسه من سلالة البرامكة حسبما ذكر بنفسه- المترجم.

حلول القرن العاشر الميلادي بدأت أسماء بعض الأسر الكردية بالظهور في تاريخ المنطقة. وفي القرن الثاني عشر الميلادي قاد صلاح الدين الأيوبي (١١٣٧-١١٩٣م) دولة عربية*، كانت مهمّتها الأساسية مقاومة الصليبيين الأوربيين في الأرض المقدّسة فلسطين، وهومن أسرة كردية من مدينة تكريت الواقعة على نهر دجلة شمالي بغداد، وفي عهده كان السلاجقة وقبائل التركمان قد تحركوا من الشرق إلى كردستان والأناضول عبر إيران[١٥].

وبعد السلاجقة والتركمان جاء المغول وأتراك آخرون كثيرون تحت قيادة جنكيزخان وحفيده هولاكو، وأخيرًا جاء تيمورلنك، وقد سقطت المدن التي في طريقهم وأصبحت خرابًا، بما فيها بغداد، غير أن الكرد في معاقلهم الجبلية كانوا أقل تأثّرًا من الآخرين بذلك الدمار. وفي غضون ذلك كانت الأسرة العثمانية التركية تبسط نفوذها وتفرض سيطرتها عبر الأناضول، وأخيرًا فتحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية سنة (١٤٥٣م).

وكان من الممكن لهؤلاء الغزاة الترك تغيير الخريطة الديموغرافية لإيران وكردستان لولا وجود الأسرة الصفوية (١٥٠١- ١٧٣٧م)** التي وضعت حدًا لضعف فارس

* والاكثر من ذلك أن المعركة الحاسمة التي قررت مصير الدولة الاموية ومهدت لظهور الخلافة العباسية قد وقعت على أرض كردستان قرب نهر الزاب الكبير عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م وقد عرفت المعركة باسم الزاب نفسه، بل أن الكورد انفسهم قد شاركوا في هذه المعركة. (الناشر)

* الصحيح هو دولة اسلامية. (الناشر)

[١٥]- تدفّق التركمان السلاجقة على كردستان منذ النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وهي فترة سابقة على عصر صلاح الدين بحوالي قرن من الزمان، فقد ولد صلاح الدين سنة (٥٣٢ هـ - /١١٣٧ م)- المترجم.

** الصحيح هو ١٧٢٢ (الناشر)

العسكري، وأنعشت الثقافة الفارسية، وقد بلغ الفن ذروة ازدهاره في عهد الشاه عبّاس الأول الصفوي (١٥٨٧- ١٦٢٩م)، وقاد الصفويون حركة كانت دينية بقدر ما كانت ثقافية، وفرض الشاه إسماعيل المذهب الشيعي مذهبًا رسميًا للدولة في فارس، وصعّد درجة التنافس والصراع مع الترك السُنّة.

وقد وجد الكرد أنفسهم في منطقة جغرافية تقع في مركز ذلك الصراع، وكانوا في العادة مؤيدين للعثمانيين الذين ينتمون إلى مذهبهم (السُنّة)، وخاصة بعد انتصار السلطان سليم الأول على الفرس سنة (١٥١٤م). وفي سنة (١٦٣٩م) اتفق السلطان مراد[١٦] والشاه عباس الثاني* على رسم الحدود الشمالية- الجنوبية التي قسّمت كردستان إلى قسمين، ثم أصبحت ثلاثة أقسام حينما انفصل العراق من تركيا بعد الحرب العالمية الأولى.

وبما أن قوة الدولتين العثمانية والفارسية وصلت إلى الحضيض مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، فإن الإمارت الكردية واتحادات القبائل وسّعت دائرة نفوذها، وعندما سنحت لها الفرصة قاومت السلطات المركزية أو تجاهلتها، وكان الأوربيون قد بدأوا رحلاتهم إلى الشرق في عهد مبكّر، بينما كان الترك والفرس يتطلّعون إلى الغرب لأغراض تجارية وتكنولوجية، وخلال عملية التحوّل هذه بدأ الكرد خروجهم من قرون العزلة.

[١٦]- الأرجح أنه السلطان العثماني مراد الثالث- المترجم. الصحيح هو مراد الرابع (الناشر)

* الشاه صفي كان يحكم ايران في تلك الفترة وليس عباس الثاني. (الناشر)

(٢)

تاريخ الكرد
من القرن التاسع عشر
إلى الحرب العالمية الأولى

خلال القرن التاسع عشر وللمرة الأولى اخترق المغامرون والدبلوماسيون والمبشّرون الأوربيون أرجاء كردستان على نطاق واسع، ورجعوا ليدوّنوا انطباعاتهم. وفي ١٦ أبريل/نيسان (١٨٢٠م) كتب كلاديوس جيمس ريج claudius James Rich، البريطاني المقيم في بغداد، في صحيفته ما يلي:

" للنجاة من الحر الشديد في صيف بغداد عقدت العزم على القيام بزيارة إلى الجبال في كردستان".

ولم يعد ريج إلى مقرّه حتى ١٢ مارس/آذار (١٨٢١م)، بعد أن قام برحلة إلى فارس، ممضيًا الشتاء في الموصل، وهابطًا بطوّافة عبر نهر دجلة إلى بغداد، ويمكننا أن نحسده على هذه الرحلة المتأنّية، لكنه في رحلته القصيرة التالية أصيب بالطاعون في شيراز، وتوفّي هناك. وحينذاك كان ج ، س، باكنغهام J.S Buckingham في بغداد لينعم بصحبة السيد ريش وأسرته الودودة، قد انطلق شرقًا عبر كردستان إلى فارس، ويقع تقرير رحلته في مجلّدين من مجلّدات هذه الأيام، وقد طُبع في حياته بعنوان (رحلة بوكنغهام)،وليس بعد وفاته كما حصل مع ريش.

وقام رحّالة آخرون بزيارة كردستان، منهم جيمس بيللي فراستر Baillie Fraster، والكابتن مارك سايكس Mark Sykes. لقد عبر سايكس المناطق الشرقية

للامبراطورية العثمانية عدة مرات في العقدين الآخيرين السابقين للحرب العالمية الأولى، وقدّم قائمة بأسماء بالقبائل الكردية لها قيمة ثمينة.

إن جميع هؤلاء صادفوا صعوبات كانت عادية في تلك الأيام، ولكن تلك الصعوبات لا تماثل تلك التي التقتها إيزابلا بيرد بيشوب Isabella Byrd Bishop، المعروفة بالسيدة بيشوب، إنهاكتبت أيضًا كتابًا بعنوان (حياة سيدة في الجبال الصخرية Lady;s life in the Rocky Mountains)، إنها قامت برحلة على عربة تجرها الثيران من كرمنشاه إلى طهران في أشهر الشتاء، وأعطتنا صورة حية للبؤس والصعوبات التي عاناها إيرانيو الجبال خلال ذلك الفصل من السنة.

وبقدر ما تفيد به قراءاتي فإن السيدة بيشوب دون سائر الرحّالة هي الوحيدة التي ذكرت السجاد الفارسي، ولعله الكردي، وفي سنة (١٨٩٠م) ذكرتْ ما بين (٢٥-٣٠) تشكيلة متنوّعة في كرمنشاه، وكرمنشاه مشهورة ببسطها الصغيرة وبسجّاداتها، كما أنها أشارت إلى المشكلات المتعلّقة بالسائل الزيتي السامّ المستعمل في صناعة الأصباغ، وقد حُظِر الآن، ولاحظتْ أن الفرس يزدرون النسج الرِخو والبسط الطويلة الزِّئْبَر كالمخمل، وهي تقصد القطع التي يصنعها الرحّل، ويلحّ الفرس على النسج اللطيف والناعم كالوبر.

إن السيدة بيشوب زارت بيتًا في كرمنشاه، حيث كانت النساء ينسجن السجّادة، وهذا يعني أن السجّاد الكرمنشاهي استحقّ اسمه منذ أن بدأ نسجه في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، إضافة إلى أن السجاجيد الكِرْمانية Kermans تباع على أنها كرمنشاهية. وقد ذكرت السيدة بيشوب أسعارًا تتراوح من ١٣-١٥ شِلْنًا لليارد المربّع.

إن أفضل رحلة إلى مجتمع الكرد كُتِبت من قبل رجل انكليزي فذّ، هو إ.ب.سون E.B.Soane* الذي انحدر بالطوّافة من دياربكر إلى الموصل، ومن هناك توجّه عبر البرّ إلى السليمانية وحَلَبْجة قرب الحدود الفارسية؛ إذ عمل هناك كاتبًا بالفارسية عند السيدة عادلة خانم، زوجة زعيم قبيلة جاف الكبيرة، وإن تنكّره لم يُلفت الانتباه إلى أن قام بزيارة قصيرة لشيوخ النقشبندية في بيارة Biara.

إنّ هذا العبقري الغريب الأطوار، كما وصفه السر أرنولد مؤخرًا، لم يكن مهتمًا بالسجاد بشكل واضح، لكنه نقل إلينا معلومات كثيرة حول أي شيء آخر يتعلّق بالكرد، وحينما ظهر ثانية في حلبجة بعد الهدنة، ارتدى بزّة ماجور (رائد) بريطاني، وظل لمدة أشهر قليلة موظفًا سياسيًا، وأصيب أخيرًا بالسل، وتوفّي سنة (١٩٢٣م).

ولنعد إلى تاريخ الكرد، فقد حاولت الحكومة في إستانبول إعادة فرض سلطتها في منطقة شرقي الأناضول التي جذبت انتباه العالم الخارجي بفضل الكفاح الكردي، وحينذاك كان الأمير بدرخان المقيم في درگُول Dergul قد بسط سيطرته على منطقة كبيرة تدعى بُوتان من مقرّه البعيد جنوبًا، والقريب من جزيرة ابن عمر (جزيرة Cizre) الواقعة على نهر دجلة فوق الموصل، إنه كان على اتصال مع زعماء الكرد في هكّاري، وكان يحثّهم على الانضمام إليه للشروع في تأسيس دولة كردية.

وفي سنة (١٨٤٣م) وسنة (١٨٤٦م) هاجم رجال بدرخان آلاف الآشوريين الذين كانوا يعيشون طوال قرون في رعاية زعماء الكرد، وكانوا تابعين لهم، لكنهم كانوا لا يخفون نواياهم الاستقلالية. وبتشجيع من انكلترا وفرنسا جرّد السلطان العثماني حملة

* المقصود الميجر سون (الناشر)

عسكرية ضد بدرخان الذي خانه ابن أخيه[١٧]، وهُزم في سنة (١٨٤٧م)، وبعدئذ نفي إلى جزيرة (كريت).

وثمّة زعماء كرد آخرون، في القرن التاسع عشر الميلادي، كان نفوذهم يتجاوز قبائلهم، منهم أمير راوندوز المعروف بلقب كُور باشا*، والأسرة البابانية في السليمانية حتى سنة (١٨٥٠م)**، والأسرة الأَرْدَلانية (١٨٦٧) في سِنَهْ [سننداج]، وشيخ النقشبندية عبيد الله الشَّمْديناني في هكّاري التركية. ومن بين أتباع الشيخ عبيد الله كان كثير من المسيحيين الآشوريين الذين كان زعماؤهم على اتصال بالدكتور كوچران Kochran، وبالأطباءالمبشرين الأمريكيين في أورميا بإيران، وقد أخبر الشيخ عبيد الله الدكتور كوچران أنه يرحّب بدعم الولايات المتحدة الأمريكية ليحرّر شعبه من نير الحكمين التركي والفارسي.

وفي سنة (١٨٨٠م) خاض الشيخ عبيد الله والقبائل المتحالفة معه الحرب ضد حكومة الشاه الصفوي*، واستولى على صاوچبلاق (مهاباد)، وهدّد تبريز، وكان على وشك الاستيلاء على أورميا حينما تمكّن المسؤولون في المدينة من أن يؤثروا على الدكتور كوچران للتفاوض مع الشيخ عبيد الله، وكان الغرض من هذه الصفقة هو كسب الوقت لوصول الجيش الفارسي إلى المدينة وإنقاذها، وعندئذ لم يجد الشيخ عبيد الله أمامه فرصة سوى التراجع إلى داخل تركيا والاستسلام للسلطان العثماني، ومن

Œ- يُدعى: يزدان شير = أسد يزدان. و(يزدان/ أزدان) من أسماء الله في الديانة الكردية قبل الإسلام- المترجم.

* يقصد الامير محمد پاشا الرواندوزي. (الناشر)

** الصحيح هو ١٨٥١ (الناشر)

* الصحيح هو القاجاري حيث كان الشاه ناصرالدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) وليس الصفوي. (الناشر)

حسن الحظ أن هذا الأخير لم يكن على وفاق مع الشاه، لذا نُفي الشيخ عبيد الله إلى مكّة، وتوفّي هناك سنة (١٨٨٣م).

ومع نهاية القرن التاسع عشر كانت قوى الشرق والغرب تتسابق للقيام بلعب الأدوار التي لعبتها أخيرًا في الحرب العالمية الأولى، إن قيصر روسيا شجّع شخصيات كردية مختارة،منهم جعفر آغا من قبيلة شِكاك قرب بحيرة أورميا في إيران، إضافة إلى ورثة الشيخ عبيد الله. ورداً على ذلك جنّدت الحكومة التركية الألوية القبلية المعروفة بالفرسان الحميدية، الشبيهة بفرق القوازق الروسية، وإن الفرسان الحميدية كانوا دونما فائدة إلى حدّ كبير، وغالبًا ما كانوا يتقاتلون فيما بينهم حينما كانوا لا يجدون فرصة لسلب الكرد الآخرين أو سلب الأرمن.

وحينما اقتربت الحروب العالمية الأولى استعجلت كل من تركيا وإيران إجراء الإصلاحات الغربية، وحاولت توسيع نطاق نفوذها والسيطرة على المناطق الكردية، وهذا ما أغضب المحافظين الكرد بين حين وآخر، كما أن إبراهيم باشا زعيم اتحاد الملّية في منطقة الحدود التركية- السورية أعلن الثورة سنة (١٩٠٨م) ضد إصلاحات حكومة (تركيا الفتاة).*

وفي إيران، وبعد ثلاث سنوات، دعمت قبيلة الكلهور الضخمة ثورة فاشلة قادها سالار الدولة ضد الحكومة الدستورية في طهران.

* الواقع لم يقف الكورد ضد اصلاحات حكومة تركيا الفتاة، بل أن قادة الكورد انفسهم كانوا يطالبون دوماً الاتراك على اجراء اصلاحات في مناطقهم كالشيخ عبدالسلام البارزاني الذي كان أحد الذين بعثوا بعريضة تدعو الى اصلاحات في المناطق الكوردية تخدم السكان وتراعي مشاعرهم وعاداتهم. (الناشر)

إن المثقّفين الكرد الذين اشتعلوا حماسًا تأثّروا بهذه الحركات، وشرعوا ينتظمون؛ فأسّس أبناء بدرخان (جمعية التعاون الكردية)[١٨]، وبدأوا بنشر جريدة كردية سنة (١٩٠٨م) بالتعاون مع كرد مشهورين آخرين، منهم أميران بابانيان من السليمانية، وفي الفترة بين (١٩٠٧- ١٩٠٩م) جنّدت الحكومة التركية بعض القبائل الكردية في إيران، وزوّدتهم بالأسلحة. وفي سنة (١٩١٣م)، وبدعم من بريطانيا وروسيا، شُكّلت لجنة حدودية لترسيم الحدود التركية- الفارسية التي رُسمت تقريبًا سنة (١٦٣٩م).

وحينما أعلن قيصر روسيا الحرب على تركيا سنة (١٩١٤م) كان الكرد مضطرين إلى تحديد الجهة التي يجب عليهم التحالف معها، إن بعضهم وجد المصلحة في انتصار روسيا، لكن معظمهم وقف إلى جانب تركيا والإسلام ضد الروس وحلفائهم المسيحيين من الآشوريين والأرمن.

(١٨)- لعلها جمعية التعالي الكردية- المترجم.

(٣)

من الحرب العالمية الأولى
إلى الحرب العالمية الثانية

خلال الحرب العالمية الأولى فرّ معظم الأرمن من شرقي تركيا باتجاه الجنوب نحو سوريا، أو باتجاه الشرق نحو روسيا، وفي الوقت نفسه توجّهت القبائل الآشورية من منطقة هكّاري التركية[19] إلى داخل إيران، وذلك بقيادة بطريركها مار شمعون، وفي سنة (١٩١٥م) احتلوا سهل (سَلْماس) قرب أورميا، حيث كان مواطنوهم المسيحيون قد أقاموا سابقًا- وعلى نحو غير مستقر- في قرى قرب بحيرة أورميا. وفي ذلك الوقت كانت أذربيجان وجارتها كردستان قد أصبحتا معًا مسرحًا للحرب الروسية- التركية، ودارت معارك أخرى أبعد شمالاً حيث وقف الأرمن والروس معًا ضد الترك.

وقد تحرك الترك نحو تبريز في يناير/كانون الثاني (١٩١٦م)، لكنهم تراجعوا بعد أسابيع قليلة تحت ضغط القوات الروسية، وحينما استدار الروس نحو الجبال الكردية جوبهوا بثلاثة آلاف من مقاتلي قبيلة شِكاك، الذين كان يقودهم الفتى إسماعيل آغا (سِمْكو)، وحينما دخل الروس أورميا في مايو/أيار استُقبلوا بحرارة من قبل المبشّرين الأمريكان والمسيحيين المحلّيين.

وحينما توقّفت روسيا عن الحرب سنة (١٩١٧م) كان ثمة القليل مما فعلته لكبح جماح القبائل الكردية، وإن سمكو- وكانت السلطات الفارسية قد قتلت أخاه الأكبر

[19]- في كردستان الشمالية- المترجم.

في مأدبة أُقيمت بتبريز على شرفة قبل عشر سنوات- دعا البطريرك الآشوري إلى العشاء لمناقشة التحالف الآشوري- الكردي، وبمجرد أن غادر مار شمعون وحرسه المكان اغتيلوا.

وفي ذلك الوقت كان يوجد في المنطقة خمسة آلاف مقاتل آشوري، فجمعتهم أخت البطريرك كي تثار لأخيها المقتول عمدًا، لكنهم هُزموا علىأيدي القوات التركية- الكردية المشتركة، فتراجعوا جنوبًا باتجاه المنطقة المحمية من قبل بريطانيا في همذان، وفقدوا كثيرين من رجالهم خلال عملية التراجع بسبب الكمائن الكردية، وكان سمكو على احتكاك مع البريطانيين والترك والفرس، فشرع ينتقل إلى تركيا والعراق تارة، ويعود ثانية إلى إيران، والتزم الهدوء أولاً، ثم ثار ثانية ضد رضا خان بهلوي، وأخيرًا سقط صريعًا في كمين فارسي سنة (١٩٣٠م)، حينما كان في طريقه للفوز بالعفو الحكومي حسبما كان يظن.

تركـــيا:

إن معاهدة سيفر Sevres التي وُقّعت في ١٠ آب (١٩٢٠م) بين تركيا والحلفاء كانت تسمح بإنشاء منطقة كردية ذات حكم ذاتي جنوبي الأرض الأرمينية في الأناضول الشرقية، إنها اشترطت أنه بعد مرور سنة يمكن للمنطقة التي تعيش فيها أغلبية كردية أن تحصل على حقها في الاستقلال، وسرعان ما جوبهت تلك المعاهدة بمصطفى كمال والنضال القومي التركي.

وبرغم ذلك فقد نشبت في عدة مناطق من كردستان تركيا ثورة كردية بقيادة الشيخ سعيد النقشبندي سنة (١٩٢٥م)، وكان نفوذ الشيخ سعيد قويًا وخاصة بين الكرد الذي يتكلمون بلهجة زازا، وكانت الثورة تؤيد في الظاهر إعادة العمل بالشريعة الإسلامية الذي كان أتاتورك قد وضعها جانبًا، وتعمل في الحقيقة لإقامة دولة كردية مستقلّة، وكانت الروابط التي تقوم بين الزعماء الكرد والسلطان- الخليفة قد

انقطعت حينما ألغيت الخلافة سنة (١٩٢٤م)، وعلى إثر ذلك وُضعت قيود على استخدام اللغة الكردية، وقُضي على النظام القبلي- الإقطاعي.

وبعد قتال ضار قُمعت الثورة، وأعيد فرض السلطة التركية، وفي ٣ سبتمبر/أيلول (١٩٢٥م) أُعدم الشيخ سعيد وسبعة وأربعون من زعماء الكرد في دياربكر، وحينما نشبت ثورة أخرى في منطقة آرارات [ئاگرى] بقيادة إحسان نوري سنة (١٩٢٩-١٩٣٠م) قُمعت أيضًا، وفي سنة (١٩٣٧م) نشبت حركة أصغر في منطقة دَرْسِيم Dersim لكن قُضي عليها بسهولة، وبعد ذلك قام الكرد في العراق وإيران بمحاولات عديدة لتحقيق التطلّعات القومية الكردية.

العــــراق:

كانت نشأة دولة العراق المستقلّة عملية متدرّجة ومعقّدة، وبالوقوع تحت انتداب بريطانيا في الحرب العالمية الثانية* كان العراق الدولة العربية الوحيدة التي تضمّ أقلية كردية في الشمال**. ويستفاد من المصادر الشحيحة أن بريطانيا كانت تدعم القيادات الكردية التقليدية، بما فيهم الشيخ محمود في منطقة السليمانية، وكانت الحدود التركية- العراقية حينذاك موضوعًا لمفاوضات صعبة بين تركيا وبريطانيا.

و في سنة (١٩٢٥م) شكّلت عصبة الأمم لجنة دولية من ثلاثة أعضاء هم: سويدي، وهنغاري، وبلجيكي، لاستشارة الناس، ورأت تلك اللجنة أن الكرد يؤلفون أغلبية في ولاية الموصل، وأوصت بإنشاء إدارة كردية تحت انتداب عصبة الأمم***. وعلى

* بعد الحرب العالمية الاولى (الناشر)

** يوجد الكورد في سوريا ايضا (الناشر)

*** لم توصي اللجنة بذلك، كل ما في الأمر أنها رفعت تقريرها الى عصبة الأمم توصي بالحاق ولاية الموصل (كوردستان الجنوبية) بدولة العراق، بشرط تمديد الانتداب لسنوات أخرى اضافة الى

أية حال فإن تركيا وبريطانيا العظمى وقّعتا معاهدة سنة (١٩٢٦م)، وأقرّت تلك المعاهدة الحدود الحالية، وبذلك وسّعت حدود الأمة العربية إلى ما وراء حدودها اللغوية والثقافية.

إن تاريخ كردستان العراق شهد محاولات كثيرة لتحقيق الثقافة الكردية والطموحات القومية الكردية دونما إضرار بوحدة الدولة. وبما أن الكرد يؤلّفون ٢٠٪ من عدد السكان في العراق، ويحتلّون منطقة جبلية واسعة ونائية، فإنهم كانوا أقدر من غيرهم على مواجهة الحكومة المركزية، وفي الوقت نفسه حاول كثير من الكرد العمل في إطار الدولة العراقية في كلا العهدين الملكي والجمهوري، وإلى عهد قريب كان المركز الثقافي والسياسي في كردستان العراق هو مدينة السليمانية الواقعة شرقيّ كركوك.

وسرعان ما انتشرت الاضطرابات القبلية في المنطقة، ونشبت ثورة في شمالي السليمانية*، وخاصة قرب قرية بارزان حيث كان يسيطر ملا مصطفى، وقد استطاعت الطبقة المثقّفة في المدينة التبشير بالاشتراكية والقومية، لكنها لم تكن مزوّدة لا بالقابلية ولا بالتدرّب اللذين يتطلّبهما خوض عمليات حرب العصابات، والأكثر من ذلك فإن كرد المدن هؤلاء لم يكونوا في معظمهم منتمين إلى قبائل، وكانوا غير راغبين في الانضواء تحت راية قائد واحد.

وبالنسبة لكرد الجبال كان الكفاح القومي يتوافق وتقاليد حياتهم اليومية التي تميّزت على الدوام بتحدّي السلطات الحكومية. وفي تلك الزاوية الجبلية النائية الواقعة على الحدود التركية الإيرانية صُنع معظم السجاد الكردي في كردستان

مراعاة بعض الحقوق الثقافية للشعب الكردي فيما يتعلق باستخدام اللغة الكردية في المدارس والمحاكم واستخدام الموظفين الكرد في دوائر الدولة الموجوة في كوردستان. (الناشر)

* الصحيح هو أربيل

العراق، لقد صنع أغلبها قبائل رحّل في هكّاري أكثر مما صنعها البارزانيون الذين كانوا يخاصمونهم أحيانًا، غير أن البارزانيين تميّزوا بدلاً من ذلك بإتقان فنون القتال.

وبين الحربين العالميتين الأولى والثانية حظي عدد من الزعماء الكرد القبليين بالتأييد والنفوذ في بغداد، وتعاونوا مع السلطات المحلية في كردستان، وانتشر التعليم في عدد واسع من القرى، واعتُمدت اللغة الكردية في المرحلة الابتدائية، واستمرّ نمط الحياة الريفية شائعًا كما كان في السابق، مع تحسّن تدريجي في مستوى الحياة، حتى إن الثورة البارزانية التي اندلعت أواخر سنة (١٩٢٠م)* كانت كفاحًا للمطالبة بنوع من الحقوق المحلية أكثر من كونها كفاحًا قوميًا.

ولم يمض وقت طويل حتى اندمج السلوك القبلي الغريزي بالمشاعر القومية والأفكار الإيديولوجية في مسيرة تطور الحركة الكردية التي واكبت النهضة السياسية العربية، وفي الوقت الذي حمل فيه كثير من الكرد الهوية العراقية فإن قلّة قليلة منهم تمثّلت الهوية القومية العربية، ورغم أن بعض العرب اعترفوا بأن المقوّمات التي تبرّر الوحدة العربية هي نفسها التي ينبغي أن تطبّق في كردستان، لم يقل أي واحد منهم كيف يمكن تحقيق ذلك من دون تقسيم العراق وإضعاف الأمة العربية نفسها.

وفي المنطقة القبلية قرب السليمانية احتفظ الشيخ محمود برزنجي بمطامحه القومية في وجه بريطانيا، كما احتفظ بها في وجه الحكومة العراقية بعد سنة (١٩٣٢م)**، وحينذاك تمكّنت الحكومتان البريطانية والعراقية من كبح جماحه وجماح مثيري القلاقل الآخرين، وذلك من خلال دعم الأعداء التقليديين لكل من الشيخ محمود والثائرين الآخرين، وأيضًا من خلال التحذير عبر المنشورات تارة، والقصف بالقنابل

* الصحيح هو ١٩٢١م (الناشر)

** الصحيح هو ١٩٣١م (الناشر)

تارة أخرى كإجراء استثنائي، الأمر الذي أدّى إلى تدمير بيوت قليلة في ذلك الوقت، وفي السنوات الأخيرة أحدثت الأسلحة الفتّاكة تأثيرًا اكثر.

وبينما كانت فكرة القومية الكردية تنتشر في المدن وبين القبائل فإن البارزانيين هم الذين رسموا علاقة فارقة هامة في التاريخ الكردي، إن هذه القبيلة الفقيرة سكنت الجبال النائية شرقي أربيل، وليس بعيدًا عن الحدود التركية. وطوال مئة سنة كان البارزانيون هم الأكثر نفوذًا وبأساً في المنطقة، إنها ليست قبيلة واحدة، وإنما تحالف من قبائل صغيرة وكرد غير قبليين تحت زعامة شيوخ بارزان. وفي سنة (١٩٠٦م) حينما زار مارك سايكس Mark Sykes بارزان كان هناك (٧٥٠) عائلة، وتعدّ قبيلة بارزان أكثر بألف عائلة من منافيسهم وجيرانهم الزيباريين.

وقيل إن الشيخ طه، والد الشيخ عبيد الله قائد ثورة (١٨٨١م)، عيّن تاج الدين خليفة له، على الأغلب ليكون قوة منافسة للزيباريين، وبعد سنة (١٩٠٦م) ضمّت عدة قبائل أخرى قواتها إلى البارزانيين، وهي قبائل: شَيرواني، مِزُوري، بەرۆژی، دۆڵەمەری. وفي سنة (١٩٢٠م) كان زعيمهم الروحي هو الشيخ أحمد، الشخصية المثيرة للجدل، وكانت فتاواه الدينية تقارب أن تكون بدعة أكثر من مرّة، وحينما انتهكت تحدّياته هيبة الدولة سنة (١٩٣١م) جوبه بزعيم نقشبندي منافس هو الشيخ رشيد لُولان من منطقة برادوست.

غير أن ملا مصطفى الأخ الشاب للشيخ أحمد تصدّى بسرعة وبشكل فعّال للشيخ رشيد، ومنذ ذلك الحين أصبح ملا مصطفى الزعيم العسكري لقوّات بارزان، في حين تفرّغ الشيخ أحمد للشؤون الروحية لأتباعه، وفي بعض الأوقات تعاون مع السلطات العراقية لتأمين سلامة أتباعه.

وفي سنة (١٩٤٣م) حينما أتاحت الحرب فرصًا جديدة لم تُتَح للكرد سابقًا فرّ ملا مصطفى من السجن في السليمانية*، ورجع إلى بارزان، ليقود رجاله في ثورة ضد الحكومة العراقية، فعمدت السلطات العراقية إلى التفاوض، وأطلقت سراح الشيخ أحمد سنة (١٩٤٤م). وفي سنة (١٩٤٥م) اندلعت الثورة من جديد، وأخيرًا اضطرت قوات البارزانيين إلى الانسحاب نحو الحدود الإيرانية تحت ضغط الجيش العراقي، وكان البارزانيون يعلمون أن كرد إيران، في المنطقة الواقعة بين النفوذ الروسي والبريطاني، يتمتّعون بدرجة من الحكم الذاتي.

إيـران:

وبين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أعاد رضا شاه بهلوي فرض سيطرة طهران على القبائل والشعوب ذات الأصول التركية والعربية والبلوشية والكردية، وتنوّعت خطته بين الإقناع والقمع، وكان الكرد السُنّة المشكلة الأكثر إزعاجًا بالنسبة له، وعلى أية حال كانت القوة من ناحية والمكافآت من ناحية أخرى كافية للاحتفاظ بسيطرة الدولة على مناطق شمال غربي إيران. وبُذلت نصف الجهود الجوهرية لجعل الكرد يتمثّلون روعة اللغة الفارسية، ويتخلّون عن اللباس الكردي والثقافة الكردية، وفي الحقيقة كان معظم الكرد يشعرون بالراحة مع الفرس أكثر من راحتهم مع جيرانهم الآذريين الترك في الشمال. وقد بدأت سياسات رضا شاه تسيطر على الأمور سنة (١٩٤١م)، لكن أُكره على التنازل عن العرش لصالح ابنه محمد.

وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة اقترب الكرد في إيران من إنشاء دولة مستقلّة، إن جمهورية مهاباد سنة (١٩٤٦م) كانت منطقة محدودة تنضوي تحت سلطة زعيم هو قاضي محمد، ومدعومة بتحالف قبلي، بما فيهم المقاتلون البارزانيون القادمون من العراق، وكانت الإستراتيجية السوفياتية تحاول أن تشق طريقها جنوبًا

* لم يكن البارزاني آنذاك في السجن بل كان مبعداً وتحت الاقامة الجبرية في السليمانية. (الناشر)

نحوالخليج، ومنحت دعمها الرئيسي لسلطات الحكم الذاتي في جمهورية أذربيجان الشيوعية وعاصمتها تبريز.

وكان الكرد القاطنون جنوبي سَقز saqqiz إلى الشمال من سِنَه Senna واقعين ضمن منطقة النفوذ السوفياتي خلال الحرب، وقد تلقّوا الدعم السوفياتي أيضًا, والحق أنهم، وبقليل من الاستثناءات، كانوا قوميين أكثر من كونهم شيوعيين، ولم يكونوا ميّالين إلى الرضا بالوصاية السوفياتية لمدى طويل" لذا لم يقدّم لهم الروس الدعم العسكري الكافي، أو التأييد السياسي، لمواجهة الجيش الفارسي الذي عاد إلى المنطقة الكردية بعد الضغط الدبلوماسي على الاتحاد السوفياتي للانسحاب من أذربيجان، وتمّ ذلك في يونيو/حزيران (١٩٤٦م).

وفي الفترة بين يونيو/حزيران، وخلال الاحتلال النهائي لكل من أذربيجان ومهاباد من قبل الجيش الإيراني في ديسمبر/كانون الأول (١٩٤٦م)، حدثت خلافات بين مهاباد وتبريز، وفي الوقت نفسه دخل الكرد في مفاوضات مع طهران، وخلال هذه الفترة تخلّى السوفيات عن حلفائهم المحليين طمعًا في أمل عديم الجدوى؛ ألا وهو أن حزب تودا الشيوعي سيشارك كقوة حاكمة في إيران موحّدة.

وحينما سقطت مهاباد في أيدي الجيش الإيراني ألقي القبض على قاضي محمد، وبعد محاكمة عسكرية أعدم في ٣١ مارس/آذار (١٩٤٧م) مع أخيه وابن عمه، وعلى إثر ذلك رجع ملا مصطفى ورجاله إلى العراق، وحينما عرف أن الحكومة العراقية غير مستعدّة لنبذ التخاصم اختار خمسمئة من أفضل رجاله، وتوجّه شمالاً عبر تركيا وإيران، وظل يتجه شمالاً على طول الحدود إلى نهر (أراس) Aras، ثم إلى منطقة الملاذ داخل الاتحاد السوفياتي، لقد حدث ذلك في يونيو/حزيران (١٩٤٧م) ولم يرجع إلى العراق حتى قيام ثورة (١٩٥٨م) التي أتت بحكومة تقدمية إلى السلطة في بغداد.

(٤)

تاريخ الكرد
منذ سنة ١٩٤٧

إذا كان تاريخنا الموجز هذا يعتمد بشكل أساسي على عرض أحداث الثورات والقمع فلأن هذه الأحداث ساعدت على تشكيل الهوية القومية الكردية، لكن في التاريخ الكردي أمور هي أعظم من العصيان المدني والهياج الريفي، إن الكرد في إيران والعراق وتركيا أسهموا في التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي تحقق بسرعة في المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وثمة من الكرد علماء ورجال قانون وأطبّاء ومهندسون ورجال دولة تركوا بصماتهم في دولهم التي ينتمون إليها وفي مجالات أعمالهم.

ونذكر على سبيل المثال إسماعيل كتّاني*، وهو كردي عراقي من العمادية، وسياسي مرموق، اختير رئيسًا للجمعية العامة للأمم المتحدة خلال العامين (١٩٨١-١٩٨٢)، ولا ريب أن أي تاريخ كردي يجب أن يركّز على ما قد حدث للكرد كشعب، وهذا ما سوف يقودنا بشكل حتمي للعودة إلى كفاحهم من أجل الحكم الذاتي بالوسائل القانونية وغير القانونية.

---

* الصحيح هو عصمت كتاني. (الناشر)

إيـران:

إن سقوط جمهورية مهاباد في ديسمبر/كانون الأول (١٩٤٦م) أنهى الكفاح الكردي العسكري، ولم يتجدّد ذلك الكفاح في إيران إلا بعد ثورة (١٩٧٨- ١٩٧٩م)، وقد حاولت الحكومة الانتقالية بعد أن غادر الشاه طهران إلى القاهرة في يناير/كانون الثاني (١٩٧٩م) إرضاء بعض الأحزاب الكردية التي وقفت ضد الحكم البهلوي، وعُيِّن الدكتور كريم سنجابي زعيم الجبهة السياسية الوطنية- وهو كردي شيعي، وزيراً للخارجية، وجاء ذلك التعيين لمساهمته في الجبهة أكثر من كونه ذا أصول كردية.

وطوال خمس عشرة سنة بعد قيام جمهورية مهاباد ظلت المشاعر القومية الكردية حيّة بشكل نسبي، وحينما تجدّد الكفاح الكردي في العراق بقيادة ملا مصطفى بارزاني سنة (١٩٦١م) انتعشت المشاعر الكردية على الطرف الكردي الآخر في إيران، وإن الدعم الذي قدّمه الشاه لكرد العراق في بداية سنة (١٩٧٠م) أثار ردود فعل غامضة بين الكرد في إيران؛ إن الشاه تعامل مع الكرد من منظورين: الأول أنهم أعداء. والثانية أن ثمة فرصة سانحة لا بد من استغلالها.

إن لغة الكرد وثقافتهم المتصلتين باللغة والثقافة الفارسية بصلات القربى جعل بعض الفرس يعتقد إمكانية قيام تحالف كردي فارسي شامل، بحيث يتمثّل الكرد الهوية والثقافة الفارسية، ومنذ أن أرسى الشاه شرعيّة حكمه على التاريخ الإيراني أكثر من إرسائها على الإسلام الشيعي بدا كرد العراق وكأنهم امتداد للقومية الإيرانية.

وعِلاوة على ذلك كان الشاه في الوقت نفسه يعتقد أن دولته مهدّدة من قبل الاتحاد السوفياتي في الشمال، ومن العراق في الغرب، وكان يعارض في الحقيقة مطامح الكرد الاستقلالية، ويعرف أن دعم كرد العراق يمكن أن يشجّع كرد إيران على الانفصال، وهذا ما جعل من السهل عليه أن يلعب بورقته الكردية سنة (١٩٧٥م)

في صفقة مع العراق*، ضمن من خلالها السيطرة بغير وجه حق على نصف شط العرب الممتد من البصرة إلى الخليج.

وفي سنة (١٩٨٠م) أصبح شط العرب مرة أخرى موضع نزاع بين كل من العراق وإيران، وكانت الثورة حينذاك قد اندلعت في أجزاء من كردستان إيران، ففي سنة (١٩٧٨م) كان عبدالرحمن قاسِمْلو قد رجع من المنفى إلى إيران ليقود المقاتلين الكرد البيشمركه Pesh mergas، ومرة أخرى أصبحت مهاباد المركز الرئيسي للمقاومة الكردية، مع أن حُمّى القومية الكردية كانت قد انتشرت جنوبًا إلى سنندج.

وبدأت المفاوضات المعتادة وغير الحاسمة بين الكرد والحكومة المركزية، لكن الأمل في الوصول إلى نتائج مريحة انتهت بهيمنة الثورة الإسلامية على السلطة في طهران، وتكليف حراس الثورة والجيش الإيراني بحفظ الأمن في المنطقة الكردية، هذا وإن الحرب العراقية- الإيرانية التي بدأت سنة (١٩٨٠م) انكشفت عن تعاون قاسملو مع العراق، في حين دعم اثنان من أبناء ملا مصطفى حكومة إيران الخمينية، وهما إدريس ومسعود.

العـراق:

في العراق، وعلى نطاق أضيق من إيران، أدّت أحداث الحرب العالمية الثانية إلى ظهور تحوّلات عميقة في المجتمع الكردي عامة، وفي البنية القبلية على نحو خاص؛ فالآغاوات والشيوخ فقدوا تدريجيًا نفوذهم وهيبتهم، ولا سيما في السهول وفي

* يقصد بذلك اتفاقية الجزائر التي عقدت في ٦ آذار ١٩٧٥ بين ايران والعراق بوساطة الحكومة الجزائرية. (الناشر)

المناطق القريبة من سفوح الجبال، ولكن بدرجة أقل في الجبال العالية والمناطق الحدودية، حيث واجه كل من الجيش والإدارة السياسية والعسكرية صعوبات أقل.

وقبل سقوط الملكية سنة (١٩٥٨م)، ونظرًا لإقامة ملا مصطفى مع أفضل رجاله في الاتحاد السوفياتي، كان من السهل على الحكومة العراقية أن تعيد بسط نفوذها على الشمال الكردي، وتعاون كثير من زعماء القبائل مع الحكومة المركزية، رغم أنهم كانوا يفضّلون حكمًا كرديًا ذاتيًا فيما بينهم، وفي ذلك الوقت تأثّر بعض رجال القبائل وأبناء الطبقة المتوسطة المدنية بالمجتمع العصري وبالنظريات الاشتراكية.

وبعد سقوط الملكية كان من قلّة من زعماء القبائل الكردية قادرين على الثقة بأتباعهم من رجال القبائل، باستثناء زعماء بارزان الذين رجعوا إلى مناطقهم القبلية التقليدية، وإن بعض الزعماء القبليين الذين لم يستطيعوا كبح جماح الانشقاق داخل قبائلهم، ولم يجدوا قبولاً عند السلطات العراقية الجديدة، حصلوا على حق اللجوء في إيران، حيث ظلوا أشهراً أو سنوات ينتظرون إمكانية تحسّن الأوضاع في بلادهم.

وبعد الثورة العراقية سنة (١٩٥٨م) رجع ملا مصطفى ورجاله من الاتحاد السوفياتي، وأقاموا مركز قيادتهم في بغداد قرب مركز السلطة، ومن هناك استطاع ملا مصطفى تدريجيًا أن يسيطر على الحزب الديمقراطي الكردستاني ذي الاتجاه اليساري. وسرعان ما بات واضحًا أن سنوات إقامته في الاتحاد السوفياتي لم تجعله شيوعيًا، وبدلاً من ذلك انكشفت شخصيته عن أنه قائد قومي، يعتمد على القوى القبلية والإقطاعية التي ظلّت تحتفظ بتأثير فعّال في المناطق الريفية.

وسرعان ما انشقّ الجناح المدني الاشتراكي عن الحزب الديمقراطي الكردستاني تحت قيادة جلال الطالباني، ومنذ ذلك الحين انضوى معظم الساسة الكرد في العراق إما تحت لواء الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة البارزانيين، وإما تحت لواء حزب

الاتحاد الوطني الكردستاني بقيادة جلال الطالباني، وانضم عدد أقل إلى الجماعات الاشتراكية والشيوعية.

إن الحروب الكردية والهدنات المعقودة بين الأعوام (١٩٦١- ١٩٧٥م) هي جزء من تاريخ معقّد لا يمكن معالجته في هذه الدراسة، وصحيح أن حاكم العراق بعد ثورة (١٩٥٨م) عبدالكريم قاسم وجد في ملا مصطفى بارزاني مؤيداً رئيسيًا في صراعه ضد أعدائه الداخليين خلال محاولته تعزيز سلطته، لكنه تجاهل انتشار الروح القومية الكردية بعد إخفاق الثورة القومية العربية في الموصل سنة (١٩٥٩م)، واتخذ خطوات لإعادة بسط نفوذ حكومته في الشمال.

وحينذاك كان ملا مصطفى قد عاد إلى بارزان ليقيم التحالفات، ويزيل الخلافات من صفوف مقاتليه، وليراقب بحذر أعداءه التقليديين، وهم الزيباريون وقبائل برادوست، وفي أثناء ذلك كان عبدالكريم قاسم يزوّد هذه القبائل بالأسلحة من جانب، ويشتري الذِّمم من جانب آخر، في محاولة منه لعزل البارزانيين.

وفي صيف (١٩٦١م) أرسل ملا مصطفى الخبر إلى حلفائه الكرد في إيران بأن ثورة عارمة هي في طريقها إلى الاندلاع، وهدفها هو تحقيق الحكم الذاتي لكردستان العراق، وبمجرد تحرّك القوات الحكومية العراقية إلى الجبال انضمت شخصيات وقبائل أخرى إلى جانب الثورة الكردية، ولم يستطع الجيش العراقي أن يسحق الثورة؛ لأن جبهة الكرد المطالبين بالحكم الذاتي تراجعت وتمركزت في الجبال شرقي أربيل.

وقد أُتبعت الحملات العسكرية بالهدنات، وقدّمت الحكومات المتعاقبة في بغداد خططًا عديدة للحكم الذاتي، غير أن تلك الخطط اعتُبرت غير كافية من قبل القيادة الكردية التي تركّزت أكثر فأكثر في شخص ملا مصطفى، وكانت الأوضاع في كركوك، وخاصة حقول البترول القريبة منها، بالغة الحساسية، ويتألف سكان مدينة

كركوك من خليط من التركمان والكرد، وفيها نسبة صغيرة من العرب، وإن الريبة والمكائد المضلِّلة والاسترضاءات كانت كلها جزءًا من قصة مأسوية طويلة، وبمجرد اندلاع القتال ثانية زاد كل من الكرد والحكومة من ترسانة أسلحتهم، لكن الكرد- رغم الدعم الإيراني بعد سنة (١٩٧٠م)- لم يستطيعوا أن يضاهوا بغداد التي تتمتع بمداخيل البترول، وبالدعم العسكري القوي من الاتحاد السوفياتي.

وفي فترات السلام اقتُرحت خطط الحكم الذاتي، ونُفِّذ بعضها بشكل جزئي، لكن الكرد كانوا مقتنعين أن الحكومة في بغداد لن تقاسمهم السلطة الحقيقية حتى وإن تمّ تعيين شخصية كردية نائبًا للرئيس.

وفي سنة (١٩٧٤م) شرعت الحكومة العراقية في خطّة للحكم الذاتي*، وحقّقت عدداً من المطالب الكردية فيما يتصل بالتعليم واللغة والإدارة الكردية، وبشكل جوهري فيما يتعلّق بالسلطة التشريعية. لكن الثقة كانت معدومة بين الطرفين، واعتبرت القيادة الكردية تلك الخطوات مظاهر خادعة لا معنى لها، ولعلهم كانوا قصار النظر، لكن التعاون مع الحكومة العراقية كان يعني التنازل عن ورقتهم الأقوى، ألا وهي القوة العسكرية المستقلة.

وقد تجدّد العداء في صيف (١٩٧٤م)، وحينذاك كان الجيش العراقي قد تزوّد بالأسلحة الكافية، وقرّر إنهاء التمرّد، وشُنّت حملة طاحنة على الجبهات الكردية القوية واحدة بعد أخرى، بمساعدة طائرات الهيلوكوبتر والطائرات الحربية الأخرى. إن الأربعين ألف مقاتل كردي الذين تخلّوا، على نحو غير حكيم، عن تكتيك حرب العصابات، آخذين بأساليب الحرب التقليدية، ما كانوا قادرين على مواجهة الجيش العراقي الذي كان تعداده أكثر من مائتي ألف مقاتل مدعومين بالقوات الجوية.

* ما قامت به الحكومة في ذلك العام كان من جانب واحد وكان اجراءاً كارتونيا لا اكثر. (الناشر)

وفي يناير/كانون الثاني (١٩٧٥م) خسر الكرد معظم المناطق التي كانوا يحتلونها** منذ سنة (١٩٦١م)، وأُجبروا على التراجع إلى الحدود الإيرانية.

وفي مارس/آذار (١٩٧٥م) وقّع شاه إيران وصدّام حسين نائب الرئيس العراقي حينذاك اتفاقية في الجزائر، أنهت الدعم الإيراني للثورة الكردية، فسقطت الجبهات الكردية الباقية، وفرّ من نجا إلى إيران وتركيا.

وحينذاك كان ملا مصطفى مريضًا، وبعد قضاء سنة من النفي في إيران انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة العلاج الطبي. وقد كشف تقرير من الكونغرس أن الرئيس الأمريكي نيكسون وافق قبل سنوات على طلب من الشاه بدعم الثورة الكردية عبر إيران، وفي الحقيقة كان الدعم الأمريكي للكرد رمزيًا إلى حدّ كبير، لكنه كان بالنسبة لملا مصطفى يعني دعمًا من قوة كبرى يحقق التوازن مع الدعم الذي يتلقّاه العراق من الاتحاد السوفياتي.

ورغم أن ملا مصطفى قاتل وتعامل مع البريطانيين والعرب والفرس والروس، وعلم نقاط القوة والضعف عندهم، ورغم خبرته الواسعة بأحوال المنطقة، كان يعلم يقينًا أن كل الأحداث الخطيرة هي من صنع القوى الكبرى خارج المنطقة. وكانت معركته الأخيرة هي الأكثر بسالة، ورغم إصابته بالسرطان الرئوي كان يحرص على مساعدة الكرد في منافيهم، وتعجّب أطبّاؤه من مقاومته للآلام التي لا تُطاق، وحينما خسر في النهاية معركته مع المرض في الأول من مارس/آذار سنة (١٩٧٩م) كان واضحًا أن واحدًا من أبرز شخصيات الشرق الأوسط غاب من مسرح الأحداث.

** لا يمكن اعتبار من يحرر ارضه احتلالاً كما يذهب الى ذلك صاحب هذا الكتاب. (الناشر)

تركـيا:

بالمقارنة مع إيران والعراق فإن المسار الأخير لصراع الكرد في تركيا كان هادئًا نسبيًا، وحينما أفصحت النزعة القومية الكردية عن نفسها قُمعت بسرعة وبشكل مؤثِّر، وظلّ كثير من كرد شرقي تركيا خارج دائرة اهتمام الرحّالة الأجانب خلال الأعوام الأولى من الحرب الأخيرة، وهاجر كثير من الكرد من هـذه المنطقة البائسـة اقتصاديًا باتّجـاه الغرب" نحـو أنقرة واستانبول وإلى أوربا.

وإن الطرق السريعة والطرق التي بنيت للأغراض الاستراتيجية ساعدت بدورها في كسر العزلة والتشجيع على التطور، وإن الطرق الهامة وسكة الحديد التي تربط تركيا بإيران والعراق جعلت الكرد يرسلون شاحناتهم وسائقيهم إلى مناطق أبعد. وكانت المداخيل البترولية شحيحة، وكانت الموارد المالية محدودة، وكانت سرعة التعمير أقلّ دراماتيكية مما كانت عليه في العراق وإيران، ومع ذلك فإن الأمـن والاستقرار في شرقي تركـيا أتاحا الفرصة لتطور بطيء، ولكن بشكل مطّرد، في مجالات التعليم والخدمات الاجتماعية والاقتصاد.

إن السياسة التركية دفعت كثيرًا من الكرد إلى الانصهار في التيار التركي الغالب، ومع ذلك ظل الكرد في مناطق كثيرة من شرقي تركيا متمسّكين بتقاليدهم، ومهما يكن فإن أعدادهم تؤكد أنهم لن يظلوا مجهولين إلى الأبد.

الفصل الثالث

القبائل الكردية

في إيران

مدخـــل

عندما كنا نعدّ هذا الكتاب لم نستطع زيارة جبال إيران لاستقصاء المعلومات حول النسّاجين الكرد في المدن الكبرى والأسواق، والتعرّف على حقل العمل بين القبائل والقرى، ومهما يكن فإن المعلومات المستفادة خلال الإقامة السابقة هناك قد تفيدنا كإطار للمزيد من البحث والتقصّي.

إن معظم مناطق النسج الكردي هي من حيث الأساس غير قبلية، ونذكر على سبيل المثال: بيژار Bijar وسِنَه Senna، وأجزاء من مناطق زنجان Zenjan، وهمدان Hamadan، وسُنْغور Songur، ورامين Veramin.

وعلاوة على ذلك إن بعض القطع من السجاد التجاري تعود لعائلات قبلية، مثل كُولْيائي Kolyai، وترجع إلى جماعات غير مهمّة في التاريخ الكردي أو السياسات الكردية، ومع ذلك فإن معظم القبائل الكردية وأتباع الزعماء الصوفية الدينيين أنتجوا سجّادًا وبُسطًا، ومن المحتمل أن كثيرين منهم مازالوا يعملون.

إن إنتاج السجاد في قبائل جاف Jaf وسَنْجابي Sanjabi في الشمال، وقبائل دێبۆكرى Dehbokri ومنگور Mangor في الوسط قرب مهاباد، وقبائل شِكاك Shikak وهَرْكي Herki وجَلالي Jalali بعيدًا في الشمال، قد أُعطيت أمثلة عنه بطرق مختلفة دون نسبة السجاد إلى قبيلة معيّنة.

وإن تصنيفنا للقبائل الإيرانية الكردية الكبيرة يبدأ فقط من جنوبي مدينة كرمنشاه، حيث ثمة خط باهت يفصل الكرد عن أقاربهم اللور الذين يردّون نسبهم إلى الميديين القدماء أيضًا. وإلى الشرق من منطقة القبائل ثمة مزيج من الكرد غير القبليين، وعلى التخوم الكردية الفارسية تتداخل القرى والهويّات أيضًا، لذا فإن هوية المنسوجات غير واضحة. وبشكل عام فإن نسبة القبليين «الرحّل» الكرد إلى غير القبليين، في جبال إيران، هي حوالي ٤٠- ٦٠٪ وإن الخريطة الموجودة في الورقة الأخيرة تحدّد أماكن إقامة تلك القبائل جغرافيًا، وفي هذه الدراسة سنصنف القبائل كالآتي:

الصغيرة: عدد أفرادها أقل من (٥٠٠٠) خمسة آلاف.

المتوسطة: عدد أفرادها بين (٥٠٠٠-٢٠٠٠٠) ألفًا.

الكبيرة: عدد أفرادها بين (٢٠٠٠٠-٤٠٠٠٠) ألفًا.

وقد صُنّفت القبائل بحسب التقسيمات الإدارية:

أُوْستان ostan مع كرمنشاه في الجنوب.

كوردستان وعاصمتها سنناج في الوسط.

أذربيجان الغربية شمالاً إلى الحدود السوفياتية «سابقًا».

(١)

قبائل مقاطعة كرمنشاه

أكبر القبائل في كرمنشاه وأوستان هي: كَلْهُور، سَنْجابي، جَوَانْرُود، جاف، گوّران، وسالاس، وإلى الأبعد في الشرق كُولْيائي غاشْكي Gashki وباشُوكي Bashuki. وإن مدينة كرمنشاه يقطنها في الغالب سكان من أصل كردي يتكلمون الفارسية، وهناك أيضًا ناطقون بالكردية انتقلوا إليها من المناطق المجاورة، وفي هذه المنطقة ثقافتان كرديتان مختلفتان على نحو بارز من حيث اللغة والدين واللباس:

ففي الشمال هناك الشيعة الكرد، و(أهلي حق) الذين يسمّون (علي إلهي)، ويسمون في العراق(كاكائي)، وتضم هذه المجموعة قبائل: كلهور، سنجابي، كوليائي، گوران، وهم يتكلمون بلهجات عديدة، تدعى أحيانًا الكرمنشاهية، وهي أقرب إلى الفارسية من اللهجات الواقعة أبعد في الشمال. ولعل نطق هذه القبائل متأثّر بالگورانيه- وهي لغة إيرانية[٢٠] جنوبي قزوين تنقرض تدريجيًا- ولكنها تستعمل في مناطق نائية مثل جبال هَوْرامان Hewraman (أورامان) Auraman [حُلْوان] بين العراق وإيران. وإن معظم أبناء هذه القبائل يرتدون زيًّا عربيًا معدَّلاً وألبسة تشبه تلك التي يرتديها العرب والتركمان في العراق.

وتضم المجموعة الثانية قبائل: جوانرود، جاف، سالاس، وهم يتكلمون بلهجة جاف، ويرتدون سروالاً فضفاضًا ومنتفخًا كالكيس، مثل زيّ سكان الوسط، وسكان شمالي

ČĊ- الصواب: لهجة كردية عريقة جدًا- الترجم.

العراق، وسكان جبال إيران، وإن قبيلة جاف تحتفظ بعلاقات عائلية وقبلية مع الكرد على الجانب العراقي من الحدود.

ـ كَلهُور (كبيرة جدًا، حوالي ٢٠٠٠٠٠):

هي واحدة من أضخم قبائل كردستان، تسكن على طرفي الطريق الذي يربط كرمنشاه بخانقين في العراق، وقبيلة كلهور التي تعد أكثر من عشيرة وفخذ تتكلم لهجة مختلفة عن لهجة كرمنشاه، وهي لهجة أقرب إلى الفارسية، وهم مسلمون شيعة مثل معظم الإيرانيين، وقد أصبح الكلهور أكثر فأكثر بدون نسبة قبلية، ونحن غير قادرين على تحديد هوية السجاد الكلهوري، ولكن من المحتمل أنهم أنتجوا قِطعًا وجدت في نقابة عمال كرمنشاه، مثل جيرانهم قبيلة سنجابي.

ـ سنجابي (كبيرة ـ حوالي٥٠٠٠):

السنجابيون أكثر كردية من منافيسهم التقليديين (الكلهور)، وتقع منطقتهم القبلية الرئيسة على بعد حوالي (٤٠) أربعين كيلومترًا غربي كرمنشاه، لكن الرحّل منهم ينتقلون مع قطعانهم كل شتاء إلى جهات قرب الحدود العراقية أو عبرها كما كان الأمر في السابق، ولا شك أن ذلك رفع من شأن نسجهم التقليدي، لحاجتهم إلى الأمتعة الخاصة بالحياة الرعوية، مثل الحقائب والكِليم وأغطية السرج المزركشة، ومن الجلي أن خانات قبيلة سنجابي انتقلوا إلى هذه المنطقة منذ مئتي سنة مضت، ووسّعوا سيطرتهم على حساب السكان الناطقين بالگورانية الذين التحقوا بطائفة (أهلي حق) المجاورين لل گوران.

والعائلة الأرفع شأنًا بين قبيلة سنجابي تحمل اسم (بختيار)، وبطبيعة الحال إن (بختياري) أيضًا قبيلة كبيرة تقيم في جنوب شرقي إيران، وتتكلم لغة تنتمي إلى اللورية والكردية، وإن الخانات ومعظم الرجال اعتنقوا المذهب الشيعي، ولهجتهم

شديدة الصلة بلهجة كرمنشاه أكثر من صلتها بلهجات المناطق الأبعد في الشمال، هذا رغم أن بعض السنجابيين هم فرع من الجاف، ويتكلّمون بلهجة جاف.

وفي الماضي كان السنجابيون ينتجون سجاداً وحقائب كثيرة التنوّع، وكتب سيسيل إدوارد Cecil Edward سنة (١٩٤٠م) مشيرًا إلى حدوث تدهور خطير في إنتاجهم، وأرجع ذلك إلى ارتفاع ثمن الصوف، والأرجح أن هذا التدهور ما زال مستمرًا.

ـ گُوران Guran (قبيلة كبيرة):

قبيلة كبيرة تقيم في شمالي الطريق العام الذي يربط كرمنشاه بالحدود العراقية، وهي تنقسم إلى خمس عشائر رئيسة هي: قالْخاني إسبيري Qalkhani Esperi، وقالْخاني بَهْرامي Qalkhani Bahrami، وتُوفانچي Tufanchi، وياسيمي Yasemi، وحَيْدَري Haiddari، ومعظم قبيلة گوران يتكلمون الآن اللهجة الكرمنشاهية، علمًا بأنهم كانوا ذات مرة يتكلّمون اللهجة الگورانية، واعتنق معظمهم عقيدة (أهلي حق) الذي هو مظهر متطرّف للإسلام الشيعي، ويعتقدون أن الشخصيات الشيعية المقدّسة تقمّصوا في أشكال إنسانية عبر العصور.

ومؤسس طائفة (أهلي حق) هو متنبّئ ظهر في القرن السادس عشر للميلاد، ويدعى سلطان سوحاق أو إسحاق، وأتباع هذه الطائفة مولعون بالشوارب الطويلة، إضافة إلى مظهرهم اللافت للنظر، ويحتفظ معظم زعمائهم ببيوت لهم في كرمنشاه، مثل زعماء سنجابي والكلهور الآخرين، وليس لمنسوجات قبائل گوران هوية مستقلة في فن السجاد، وهي تُعرف من خلال سجاد سنجابي.

ـ كُولْيائي Kolyai:

يُكتب اسم هذه القبيلة أحيانًا كُولياهي Kolyahi أو قُولياهي Qolyahi، وتقيم هذه القبيلة المتوسطة الحجم في منطقة (قوروه) Qurveh في شمال شرقي كرمنشاه، وهم مسلمون شيعة، ويتكلمون لهجة تنتمي إلى لهجة كرمنشاه، وقد خسروا بسرعة شخصيتهم القبلية، لكنهم كانوا- وما زالوا- من المنتجين الرئيسين لنوع من السجاد هو أصغر شكلاً من السجاد المنسوج في منطقة همذان.

ـ غاشْكي Gashki وباشُوكي Bashuki:

قبيلتان صغيرتان تقيمان على بعد (٥٠-٦٠) كم شمالي كرمنشاه، وليس لهم زعماء تقليديون بالوراثة، وهم سنّة وشيعة، ويتكلمون بلهجة جاف ولهجة سننداج، ولعلهم يشاركون في إنتاج سجّاد على النمط الكوليائي.

ـ جَوانْرُو Javanrud أو جوانرو جاف (متوسطة الكبر):

هذه القبيلة المتوسطة الحجم هي الفرع الإيراني من قبيلة جاف الكبيرة التي تُرى بأعداد كبيرة عبر الحدود في العراق. والجاف مسلمون سنّة مثل بقيّة القبائل الكردية في هذا الفصل، وهم يحتلّون منطقة واسعة شمال غربي كرمنشاه قرب الحدود العراقية، وتقع منطقتهم بين مدينتي نُوسُود Nosud و پاوه Paveh. وظن بعض المؤرخين أن منطقة إقامة قبيلة جوانرود هي المنطقة الأم لقبيلة جاف.

وفي القرن الثامن عشر للميلاد غُلبت قبيلة جاف من قبل الأردلانيين في سِنَه Senna، وبعد ذلك عبرت عشيرة مُرادي Muradi الرحّالة إلى سهل شَهْرَزُور Sharizur في العراق، حيث بسطوا نفوذهم على قبائل عديدة كانت تعيش في المنطقة سابقًا، إن العائلات المتزعّمة على جانبي الحدود كانت تدعي بگ زاده Begzadeh، ويستخدم الأفراد لقب (بگ) Beg، و في منطقة پاوه Paveh

قبيلتان بينهما قرابة تُصنَّفان ضمن قبيلة جوانرود، هما قبيلتا: إناقي Inaqi، وإيماني Imani.

ولقبيلة جاف في إيران والعراق رصيد في فن السجاد، إلى جانب عدد كثير التنوّع من المنسوجات، لكن هذه القبيلة مشهورة بصنع حقائب السرج الوبرية التي كانت علامـة متميّزة في كثير من صفاتها خلال أعوام (١٩٢٠م) و(١٩٣٠م)، وكانت كقطع قماش مخرّقة، والآن أصبحت هذه الأنواع نادرة أكثر فأكثر.

ـ قبائل سالاس:

بين قبيـلة سنجابي في الجنوب وقبيلة جوانرود في الشمال ثمة ثلاث قبائل متوسـطة الصغر هي: باباجـاني Babajani (وهي الأكبر)، وقُبـادي Qobadi ولەدبەگی Waladbegi، وكانت هـذه القبائل الثلاث تُعرف كمجموعة (سالاس)، وكانت أيضًا فرعًا أصيلاً من قبيلة جاف، وتتكلم بلهجـة جـاف، كما أنهم مسلمون سـنّة، وكانوا غالبًا ما يُصنّفون مـع جوانرود، لكن منسوجـاتهم ينبغي أن تُصنَّف على الأرجح مع جاف.

ـ أوستان كردستان:

عانت مقاطعة كردستان بعض الأحيان من الاضطراب الذي عانته جميع مناطق كردستان إيران الأخرى، ومقاطعة كردستان كانت مركز حكم بني أَرْدلان في القرن الثامن عشر الميلادي، وبعيد وفاة آخر حاكم أردلاني سنة (١٨٦٥م) أعاد نورالدين شاهā[ناصرالدين شاه- الناشر] تأكيد سلطته، وعيّن حاكمًا يمثّله في العاصمة (سِنَه)، ولا يستطيع المرء الحديث عن قبيلة أردلان، ومعظم أفراد السلالة الحاكمة لمدة طويلة. إنهم اهتموا بالإقامة في طهران، حيث اندمجوا بالفرس واحتلوا مناصب رفيعة، تمامًا مثلما انتقل أمراء بابان في السليمانية بالعراق إلى بغداد منذ أكثر من مئة سنة مضت، وتعرّبوا.

إن كثيرًا من الرعـايا الخارجين عن تبعيّـة أمراء أردلان هم الآن كرد غير قبليين، وينتجـون بطبيـعة الحـال أجمـل وأثمن سجاد (سِنّة) وأفخر الكِليم(٢١).

وفي شمال شرقي (سِنَه) يكون النسج من نمط مقاطعة بيّجار Bijar التي يُعدّ سكانها غير قبليين أيضًا.

إن كرد مقاطعة كردستان يتكلمون لهجات متنوّعة، معظمها تتفاوت بين اللهجة الكرمنشاهية في الجنوب والسورانية المتكلَّم بها في مهاباد إلى الأبعد شمالاً، ومعظم قبائل هذه المقاطعة يقيمون غربي الطريق المتّجه من الشمال إلى الجنوب الذي يصل سِنَه بمهاباد وكرمنشاه.

وقائمة القبائل الكبرى المقدّمة أدناه تعرض صفات موجزة لأهم الوحدات القبلية الهامة:

ـ قبائل كردستان أوستان:

ـ قبائل بانه:

- بَهْرام بگی: متوسطة.
- أحمدي: متوسطة.
- لُطْف الله بگی: متوسطة.
- أُوسْمان بگی: متوسطة.

قبائل مَريوان:

- مِيران بگی: صغيرة.

čČ- الكِليم كلمة كردية، وهو نوع من البُسُط المستعمل للاستخدام المنزلي العادي- المترجم.

- محمد كريم بگی: صغيرة.

- كُوهْنَ پوشی: صغيرة Kohnepushi.

- حيدر بگی: متوسطة.

- فاتالي بگی: صغيرة Fatalibegi.

قبائل هَوْرامان:

- لاهُوني (جعفر سلطاني): ضخمة.

- بَهرام بگی: متوسطة.

- حسن سلطاني: متوسطة الصغر.

- مصطفى سلطاني: متوسطة الصغر.

مجموعات (الشمال إلى الجنوب):

- تِيلكُوه Tilekuh: متوسطة الصغر.

- حَمَه ويسي: صغيرة.

- سَرْشِيف (مقاطعة): متوسطة الصغر.

- خُورْخُورا: صغيرة جدًا.

- محمود سلطاني: صغيرة.

- سلطان بانَه: صغيرة.

- شاهْ پاراست: صغيرة.

- جَلالي: صغيرة جدًا.

- غالْباهي: صغيرة.

- ماندُومي: صغيرة.

- زَنْدي: متوسطة.

- نَقشَبَنْدي سيّد: صغيرة.

-كامانگار: Kamangar.

ـ قبائل بانه Baneh:

تقيم قرب مدينة بانه أربع قبائل رئيسة، ومجموعات عشائرية صغيرة تدعى أحيانًا اتحاد قبائل بانه، ويدعى زعيمها بگزاده بانه. وإن حَمَه رشيد خان مع أنه زعيم قبيلة صغيرة، فرض سلطته على معظم بگزاده خلال حركة الحكم الذاتي في بداية (١٩٤٠م)، إن هذه المنطقة الجبلية ولّدت الروح الاستقلالية والولع بالقتال.

ـ قبائل مَريوان Marivan:

القبيلة الأكثر نفوذًا من هذه القبائل الخمس هي قبيلة حَيْدَربگی Haidarbegi، وتدعى أحيانًا كاني ساني Kani Sani. إن حاكم مريوان محمد كاني ساني وقف ضد حَمَه رشيد خان حينما فرض هذا الأخير نفوذه على المنطقة خلال الفترة (١٩٤٢-١٩٤٤م)، ونظرًا لموقعها الحدودي المنعزل احتفظت قبيلة مريوان بطرقها التقليدية في الحياة، والمورد المالي الرئيسي لزعماء هذه القبيلة هو التبغ، لكن دخلهم زاد بفضل التهريب عبر الجبال إلى العراق.

ـ قبائل هَوْرامان (أُورامان):

تقع مواطن هذه القبائل الأربع جنوبي مَرِيوان في جبال عالية ووديان خصيبة، وتختلف لهجتهم عن لهجة جيرانهم الكرد، وهي تنتمي إلى الگورانية القديمة

المستعملة في النصوص الدينية لعقيدة (أهلي حق)، وتتفرّع قبيلة هورامان إلى فرعين رئيسين هما: لهوني Lahuni وتَخْت Takht، ويشتمل فرع لاهُوني على قبيلة جعفر سلطاني الكبيرة، ويتكوّن فرع تخت من القبائل الثلاث الصغرى الباقية.

وقد اشتهر هؤلاء الجبليون الأقوياء البنية بشجاعتهم وأغانيهم وأشعارهم، وكثير من الهورامانيين أنصار متحمّسون لشيوخ النقشبندية في بيارا Biara على الجانب الحدودي، ويتزعّمها الآن الشيخ عثمان، وهم ينسجون سجاداً بعضه مستوحى من أنماط سِنَه، لكن شكله مختلف.

ـ مجموعات قبلية:

صُنِّفت هذه القبائل كمجموعات احتفظت ببنية قبلية تقليدية على نحو أقل من القبائل الحدودية النائية، وهذه المجموعات تتكوّن من القبائل الآتية: تيلكُوه Tilekuh وگالباهى Galbahi وزَنْدي Zandi، وثمة قبائل أخرى صغيرة لم تُصنَّف.

ـ شيوخ النقشبندية:

إن أتباع الشيخ عثمان وعائلته يحتلّون منطقة حدودية إستراتيجية، ويمارسون نفوذاً أكبر مما يتناسب مع عددهم وقراهم، وقد أمضى ذلك العبقري الغريب الأطوار سون Soane عدة أشهر من سنة (١٩٠٨م) في حلبجة بالعراق ككاتب فارسي للسيدة عادلة خانم زعيمة قبيلة جاف، وقام خلال ذلك برحلة إلى بيارا، ليتغلّب على شكوك شيخ كان قد قابله في استانبول قبل القيام برحلته التنكّرية إلى الشرق.

غير أن زيارة سون لبيارا لم تنجح، ورُدّت عليه هداياه المؤلفة من قطع السكّر، وفي فترة أحدث كان شيوخ النقشبندية هؤلاء، بما فيهم الشيخ علاءالدين وولده الشيخ عثمان، حسني الضيافة للرحّالة الأوربيين، هذا على الرغم من أن مواطن إقامتهم انتقلت من إيران إلى الجانب العراقي من الحدود بسبب تبدّل الظروف السياسية.

(٢)

القبائل الكردية
في غربي أذربيجان

إن هذا القطاع الشمالي من كردستان الإيرانية في أوستان من أذربيجان الغربية مهم جدًا في التاريخ الكردي الحديث، وفي هذا القطاع دارت المعارك خلال الحرب العالمية الأولى، وفيه كان نشوء جمهورية مهاباد، ذاك النشوء القصير العمر والصعب الوجود سنة (١٩٤٦م)، وفي أوستان Ostan تقيم القبائل الضخمة وهي: جلالي وشِكاك وهَرْكي في الشمال. وقبائل: منگور Mangur ومامَش Mamash ودێبوكرى Dehbokri إلى الأبعد جنوبًا، وثمة كرد غير قبليين كثيرون يقيمون في مهاباد وساقز وفي أورميا (رضائية)، وعلى الحافة الشرقية حيث يمتزج الكرد بالإيرانيين المتكلمين بالتركية.

إن هذه القبائل، إضافة إلى المقيمين في الجانب الآخر من الحدود العراقية والتركية، يحتلّون منطقة تشكّل قلب كردستان، وإن تصنيفنا للمجموعات القبلية الضخمة ينقسم بين سبع عشرة قبيلة في الجنوب الأوسط من أذربيجان، وبعضها صغير نسبيًا، وتسع من قبائل شمالي أذربيجان هي بين متوسطة الحجم وكبيرة الحجم، وتُعدّ من قبائل شمالي أذربيجان.

قبائل الجنوب:

- گافُورْك Gavurk- مهاباد: صغيرة.
- گافُورْك- سردشت: متوسطة.

- كالاس Kalas (قبائل منطقة كالاس): صغيرة.
- آلآن Allan (قبائل منطقة آلآن): صغيرة.
- مَلْكاري Melkari: صغيرة.
- بَرْفاجي Beerfaji: متوسطة الصغر.
- باسْكي كولاساه Kolasah: صغيرة.
- لُطف الله بگى: صغيرة.
- گافُورْك- ساقِّز: متوسطة.
- ديبوكري: كبيرة جدًا.
- فَيض الله بگى: كبيرة.

قبائل الوسط:

- ماماش عشايري: كبيرة.
- ماماش قادري: متوسّطة الكبر.
- پيران Piran: متوسطة.
- منگور: كبيرة.
- أُوجاغ Ojag: صغيرة.
- قَرَه باباخ (تركية): كبيرة.

قبائل الشمال:

- جَلالي: كبيرة جدًا.

- حَيدرانلو: كبيرة.

- مِيلاني: كبيرة.

- كُور حَسّانلو Koor Hassanlu: متوسطة.

- شِكاك: كبيرة جداً.

- بگزاده: متوسطة.

- هَرْكي (فرع إيران): كبيرة.

- زَرْزا: متوسطة الكبر[٢٢].

- سادة شمدينان: متوّسطة.

معظم القبائل المهمة في هذه القائمة وُصفت فيما يلي:

قبائل سَرْدَشْت:

تقع سردشت، مثل (بانه)، بعيداً في الجنوب، وهي مدينة المركز لمنطقة قبلية معزولة، يحمل فيها الزعماء لقب (آغا) أكثر من حملهم لقب (بگ)، ولهجة هذه القبيلة هي السورانية القريبة من لهجة مهاباد، وقد ضعف التماسك القبلي في بيئة المزارعين خلال السنوات الحديثة، بتأثير المشكلات الاجتماعية التي دقّت إسفينًا بين رجال القبائل وزعمائهم الإقطاعيين.

ČČ- لعلها اختصار لاسم قبيلة (زرزاري) التي تنتمي إليها أسرة البرامكة الشهيرة في العصر العباسي الأول، ذلك ما أفاده حفيدهم القاضي والمؤرخ ابن خلّكان- المترجم.

دێبوكرى:

ترجع هذه القبيلة الكبيرة والرفيعة المقام بأصولها إلى قبيلة موكري Mokri التي كانت تتمتّع بسلطة عليا في المنطقة خلال القرن السادس عشر الميلادي، واللهجة السورانية- الموكرية هي اللغة الأدبية السائدة في المنطقة، وهي قريبة جداً من لهجة السليمانية في الجانب العراقي من كردستان.

والمركز المدني الرئيسي للموكري هو مدينة مهاباد (صاوچبلاق Sauj Bulaq) ومدينة بُوكان، وتتركّز الزعامة في ثماني عائلات هي: إيلخاني زاده، وقَهْرَماني بُوكان، ومعروفي، وبيازيدي مهاباد، وكريمي مهاباد، وكُوم قاله Kum qaleh، وآليار (علي يار) أنبار، وشيخ آغايي مِيَاندُو آب.

وفي الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر نافست قبيلة موكري قريبتها اتحاد بِلْباس Bilbas، مع أن كليهما هما على الأرجح فرعان من قبيلة واحدة، ولقبيلة موكري حضور واضح في التاريخ الفارسي كحاجز حدودي وكمؤيدين، أو كخصوم لشاهات عديدين، وفي عهد قيام جمهورية مهاباد سنة (١٩٤٦م) حدث انشقاق في قبيلة موكري؛ إذ أيّدت بعض العائلات والشخصيات الجمهورية، وآخرون، ومن ضمنهم بعض من الإيلخاني زاده، إما وقفوا على الحياد، وإما أنهم أيّدوا الشاه.

وتحتل قبيلة ديبوكري منطقة منفتحة نسبيًا، وقد دبّ فيها الاضطراب والخلافات الاجتماعية من قبل المزارعين والخلافات الاجتماعية، وليس ثمة سجاد نسج في مهاباد لسنين طويلة، ولكن من المحتمل أن يكون ديبوكري من بين أولئك الذين أنتجوا سجاد صاوچبلاق في بدايات القرن العشرين (ما زال السجاد والكِليم يُنسجان في المنطقة).

گافُورك سقِز Gavurk Saqqiz:

هي فرع مستقلّ من قبيلة گافُورك، وتقيم جنوبي أذربيجان قرب سقز، وهي متوسّطة الصغر، وتتزعّمها عائلة جاوان مَرْدي Gavanmardi من قرية تامُوتا Tamuta.

گافُورك مهاباد:

هذا الفرع الثالث من قبيلة گافُورك تقيم قرب مهاباد، وفي سنة (١٩٤٦م) قدّمت(٣٠٠) ثلاثمئة فارس تحت قيادة عزيز آغا دعمًا لجمهورية مهاباد الكردية، وفعل الفرعان الآخران من گافُورك الأمر نفسه، ومن المهم جدًا معرفة ما إذا كانت الفروع الثلاثة من گافُورك ما زالت تُنتج الكِليم والسجاد، وما إذا كانت أنماط نسجها متماثلة.

منگور Mangur:

تحتل هذه القبيلة الضخمة قرًى في جنوبي مهاباد، وتمتد مناطق إقامتها لتحاذي الحدود العراقية، وتتجاوزها في بعض المناطق، وهي تكوّن اتّحاد بِلْباس بتحالفها مع قبائل پيران Piran ومامَشْ Mamash وأُوجاغ Ojag، وأسهمت هذه القبيلة في قيام جمهورية مهاباد بحوالي (٩٠٠) تسعمئة فارس، تحت قيادة ثلاثة فروع مختلفة هي: عبد الله بايزيدي، وعلي خان إبراهيم سالاري، وسالم آغا أوجاوغي، وغالبًا ما عوملت قبيلة أوجاغ الصغيرة على أنها قسم من منگور.

پيران Piran:

تستقر هذه القبيلة المتوسّطة الصغر على الحدود الإيرانية- العراقية في منطقة خانه Khaneh. وفي سنة (١٩٤٦م) أسهمت بثلاثمئة فارس في جمهورية مهاباد تحت

قيادة زعيميها محمد أمين آغا وكاراني (قَرَني) آغا، ومنطقتها القبلية تقع وسط مجمّع لقاعدة الجيش الإيراني، وأنشىء هذا المجمَّع في أواخر سنة (١٩٥٠م).

مامَشْ عشايري:

تسكن هذه القبلية الضخمة جنوبي سهل سُولْدُوز Solduz، وفي وادي خانه، وهي ترتبط من حيث الأصول بقبيلة مامَشْ قادري، ولكنّ الفرعين الآن منفصلان تمامًا، وغالبًا ما تكونان في حالة خصام، وإن الزعماء الذين يحملون لقب (أمير عشائري) يقيمون عادة في قرية (قەلآ پەسوێ) Qala Pasveh، وقد وقفوا بشكل كلي إلى جانب جمهورية مهاباد، ولكن قبيل سقوطها انضموا إلى قبائل شكاك ومنگور وهركي ضد الجمهورية، وذلك حينما أصبح واضحًا أن السوفيات كانوا ينشرون الإيديولوجيا الشيوعية بين أفراد قبيلتها، وكانوا على خصام مع البارزانيين الذين قتلوا عدة أفراد من العائلة. إن قبيلة مامش أنتجت السجاد، لكن ليس معروفًا ما إذا كان السجاد الذي ينتجه كل من فرع (عشيري) وفرع (قادري) متجانسًا.

ـ مامَشْ قادري:

تحتل هذه القبيلة الكبيرة موقعًا إستراتيجيًا بين شنۆ Ushnevieh و خانه Khaneh على الحدود العراقية، ويعيش زعماؤها الأغاوات في قرية جِلْدِيان Jildian، إنهم أيّدوا جمهورية مهاباد، ولعبوا أدوارًا جيّدة مع ملا مصطفى، وهم يحتفظون بعلاقات مع عدد من القبائل العراقية المجاورة.

ـ قره پاپاخ Qarapapak:

لا نستطيع أن ندع الحديث عن قبائل أذربيجان الجنوبية دونما ذكر قبيلة تركية شيعية كبيرة تحتل واديًا خصيبًا وسفوحَ جبال غربي بحيرة أورميا، وتشمل أرضها القبلية مدينة نەغەدە Naqadeh وتلّة الحِصن في حسّانلو التي تعود إلى القرن التاسع قبل

الميلاد، ونُقّبت من قبل روبرت دايسون Robert Dyson وفريقه الأركيولوجي من جامعة پنسلفانيا Pensylvania سنة (١٩٥٠م)، وسنة (١٩٦٠م).

وحسبما تذكر بعض المصادر فإن الاسم الأصلي لهذه القبيلة كان بارشالّو Barshallu، ولكن نظرًا لقبّعاتهم السود الكبيرة المصنوعة من الفراء سُمّوا قَرَه پاپاخ، وتنقسم القبيلة الآن إلى أربعة فروع هي: فَرْهانجي Farhangi، خُسْرَوي Khosravi، بارشالّو، أمير فلاح Amir Fallah؛ والفرعان الأولان منها هما الأكثر أهمية.

وكانت قبيلة قَرَه پاپاخ تقيم أصلاً في سهب مُوغان Moghan ومناطق بُورشالو Bourchalu في القوقاز، ولكن في بداية القرن العشرين أعادت حكومة طهران توطينها في مناطق إقامتها الجديدة، باعتبارها قبيلة مسلمة شيعية تحقق التوازن مع الكرد السنة المجاورين، وهم يتكلمون الآن بالكردية والتركية (الأذرية)، وغالبًا ما يمتزجون بالكرد، وإن ابنة أحد زعمائهم، وهو غلام رضا خُسْرَوي، تزوّجت أحد أفراد عائلة أسياد شمدينان النقشبنديين.

(٣)

القبائل الكردية
في شمالي أذربيجان

شمالي أذربيجان وجنوبي أذربيجان منطقتان مختلفتان، تفصلهما حدود ثقافية ولغوية تقسّم كردستان:

ففي الجنوب تنتمي اللهجة المستعملة إلى السورانية أو الموكرية أو الكردية الجنوبية البسيطة.

وفي الشمال تستعمل اللهجة (البهدينانية)، وهي تسمّى (الكرمانجية) في تركيا، وهناك في شمالي أذربيجان يرتدي الرجال زيًا مختلفًا عن السروال الفضفاض المنتفخ الذي يُرتدى في الجنوب، إنه زيّ من تشكيلة أنبوب الموقد التي تكثر في الشمال، هذا مع العلم أنه كلما تحرك المرء نحو الشمال الغربي وجد أن معظم الكرد من سكان المدن والكرد غير القبليين، ولاسيما الشبان منهم، يفضّلون الزي الجنوبي، معتبرين بوضوح أن الزي الشمالي ريفي وساذج.

وعلى الإجمال فإن قبائل الشمال ذات شخصية قاسية وسلوك خشن أكثر من تلك التي تسكن بعيدًا في الجنوب، وربما انعكس ذلك في نسجهم الذي أطلق عليه موم فورد Mumford وهاولي Hawley مصطلح (بربري).

ونسبة الكرد القبليين إلى غير القبليين في شمالي أذربيجان أعلى من أي مكان آخر، وهنا تمتد المناطق الكردية بشكل ضيق، إلى حد ما، غربي بحيرة أورميا

وشمالي الحدود السوفياتية، وأضخم هذه القبائل الشمالية وأهمها هي: شِكاك، وهَرْكي، وجَلالي.

ـ زازْزا Zarza:

إن هذه القبيلة المتوسطة الصِّغر تحتل حوالي (٢٠) قرية قرب أُوشنويه.

ـ هَرْكي (هارْكي) Herki (Harki):

إن قبيلة هركي المقيمة في إيران هي فرع من قبيلة رحّالة كبيرة، يقيم القسم الأكثر منها في العراق، وكان زعيمها لسنوات كثيرة هو راشد بك (راشد آغا جيهانگرى Jahangary)، المقيم في مدينة أورميا (رضائية). وتنقسم قبيلة هركي في إيران إلى ثلاثة فروع رئيسة هي: فرع مَندان Mandan، وهو الفرع الأكبر ويقودها راشد بك. وفرع سَدان Sedan. وفرع سَرْهاتي serhati أو (سِهاتي) Sihatti.

وقد زوّد راشد بك جمهورية مهاباد بحوالي ألف فارس سنة (١٩٤٦م)، ويحمل الزعيم الهركي الآخر اسم زرُوبگ Zerobeg، وتحت إمرته أكثر من (٧٠٠) من الفرسان، وله شهرة تناسب هذا العدد من الأتباع.

وهركي إيران شبه رعاة، ينتقلون إلى المراعي العليا صيفًا، وإلى عهد قريب كان قسم من هركي العراق يجلبون قطعانهم عبر الممرات العالية إلى المواقع القبلية قرب الحدود داخل إيران. وقد دُرس نسج هركي بالتفصيل في أثناء الحديث عن فرع العراق.

ـ بگزاده Begzadeh:

إن هذه القبيلة المتوسطة الصغر شديدة القرابة مع الهركي، وتحتل جزءًا من وديان ترگور Tergawar و مرگور Mergawar العالية والخصيبة، وفي الحقيقة كان زروبگ هركي هو زعيم بگزاده.

ـ شِكاك shikak:

هي قبيلة ضخمة وذات نفوذ، تحتلّ منطقة استراتيجية في قلب شمال غربي أذربيجان، وتنقسم إلى فرعين رئيسين هما: فرع عبدُوفي ﴿عَبدُوِيي﴾، وفرع كاردار، وزعماء شِكاك ينتعلون أحيانًا أحذية طويلة، ويرتدون اللباس الخاص بركوب الخيل، ولعلهم تأثّروا في ذلك بصلاتهم مع الروس خلال الحرب العالمية الأولى.

ويتزعّم طاهر خان فرع عَبْدُوفي، وهو ابن إسماعيل آغا سِمْكو، أحد أبرز الشخصيات زمن الحرب العالمية الأولى. والأقسام الأخرى من عبدُوِيي هي:أُوتَماني Otamani، إيفاري Evari، شُكْري shukri، نَماتي nemati، داري Dari.

ويتزعّم فرع كاردار عَمَر خان، وقد أصبح زعيمًا بعد مقتل سِمْكو سنة (١٩٢٣م) [الاصح هو ١٩٣٠م]، وحينما توفّي عَمَر خان سنة (١٩٥٨م) لم ينبثق زعيم ذو مكانة بارزة، والأقسام التي تنتمي إلى كاردار هي: دُولان Dolan، العشيرة الحاكمة التي يقيم زعماؤها في قرية زِيْمْدشت Zimdasht، وفاناك Fanak، وپاس آغا Pas Agha، ونِيسان Nisan، وخَلَف Khalaf، وخِضْري Khedri، وگاُورِيك Gurik، وبُوتان Butan، وهُوناره Honareh، شاپيرانى Shapirani، وپاچِيك Pachik، ومُوفاقاري Movaqari.

إن شِكاك التي كانت بقيادة عَمَر خان كانت عنصرًا رئيسيًا في القوة القبلية الداعمة لجمهورية مهاباد، لكن عَمَر خان أصبح مرتابًا في المرامي السوفياتية بعد ظهور فيلم سوفياتي يصوّر انتصار الفلاحين على سادتهم الإقطاعيين. وفي صيف سنة (١٩٤٦م) انضم إلى زعماء قبليين آخرين، للتقرّب من الحكومة الإيرانية بوساطة القنصلية الأمريكية في تبريز، وقام هو وزملاؤه ببعض التأثير الذي نجم عنه سقوط جمهورية مهاباد في ديسمبر/كانون الأول (١٩٤٦م). وكانت قبيلة شِكاك

تنتـج، خـلال النصف الأول مـن القرن العشـرين، كثيرًا مـن السجاد ذا المواصفــات القبلـية الرفيـعة، كما أن نسجـه المعاصر جـدير بالدرس والتحقيق.

ـ كُورحسّانلو Koor hassanlu:

بين قبيلة شكاك ومِيلان Milan تقيم قبيلة كُورحسّانلو الصغيرة التي كانت تنضوي تحت لواء زعـامة عَمَر خان شِكاك سنة (١٩٤٠م)، ومع أنها تقيم أصلاً في تركيا فإن مارك سايكس لم يصنّفها سنة (١٩٠٨م).

ـ ميلان Milan:

قبيلة مِيلان متوسطة الحجم شبه رحّالة، تنتقل صيفًا من مشاتيها في الشمال قرب قبـيلة جـلالي في الجنوب الغربي إلى المراعي العـالية (زُوزان) قرب الحدود التركية بين سِيا چشمه Siah Chasmah وقُتُرQutur، وتزرع قبيلة ميلان القطن والأرز والقمح، وتمتلك قطعانًا كبيرة من الغنم والماعز التي تشير على الأقل إلى أنهم ينتجون بعض المنسوجات القبلية، ويطلق اسم مِيلان في العـادة على المجمـوعة القبلية الأصلية التي ينتمي إليها كثير من القبائل المقيـمة في تركيا، وقد تكـون قبيلة مِيلان جزءًا من تلك المجموعة.

ـ حَيْدَرانلو Haidaranlu :

تقيم قبيلة حيدرانلو المتوسطة الحجم بين المِيلانيين والجلاليين، وهي فرع من قبيلة كبيرة جدًا تمتد مواطنها عبر الحدود إلى شمالي بحيرة وان في تركيا.

ـ جَلالي Jalali:

قبيلة جلالي كبيرة جدًا، وهي تقيم في الزاوية الشمالية الغربية من إيران على الحدود مع الاتحاد السوفياتي [سابقًا]، وقد صنّفها مارك سايكس سنة (١٩٠٨م) ضمن قبائل مثلث العمادية في شمالي العراق، وهذه المنطقة تشكّل الآن الحدد

العراقية- التركية. وقد ساهمت بشكل واضح في النشاطات المعادية للدولة التركية سنة (١٩٢٠م)، وفرّت عبر الحدود إلى إيران.

وخلال أشهر الشتاء يحتل الجلاليون القشلاغ (المشاتي) الواقعة على الحدود السوفياتية على نهر آراس ، وفي أبريل/نيسان ينتقلون إلى المصايف العالية (يايْلا yayla) في مقاطعة آواجِك Awajik على الحدود الإيرانية-التركية، ويتفرّع الجلاليون في العادة إلى عشرة فروع هي: علي مُحُولي Ali Moholi، بَلَكانْلو Belekanlu، قاندِكانلو Qandikanlu، حَسُو خلف Hasow khalaf جِنّي كانلو Jinni kanlu، خالي كانلو Khali Kanlu، مِسْري كانلوMisri Kanlu، أُوتايلو Otailu، قزِلباش Qizilbas، ساكان Sakan. وزعيم فرع خالِيكانلو هو عادة رفيع الشأن أو (خان)، وبعض الفروع يتزعّمها آغاوات، واسم قبيلة مثل (قزلباش) تشير إلى أن بعض الجلاليين مسلمون شيعة.

وبما أن الجلاليين يقيمون أصلاً في تركيا فإنهم يتكلمون لهجة متأثّرة بالتركية، ويميلون إلى ارتداء اللباس التركي الشبيه بالأوربي أكثر من ارتداء الزي الكردي التقليدي، وقد انضموا إلى قبيلة مِيلان في دعم جمهورية مهاباد، لكنهم قطعوا علاقتهم بها حين وقف عَمَر خان شكاك مع الشاه.

ـ شِكاك (سادة) شمدينان:

بمحاذاة قبائل شمالي أذربيجان أقام أتباع سادة نقشبندية شمدينان (نهري) في تركيا، وتُرجع هذه العائلة نسبها إلى النبي محمد عبر الشيخ عبد القادر الگيلانى، شيخ الطريقة الصوفية القادرية، وقد تحوّلوا إلى الطريقة النقشبندية في القرن التاسع عشر الميلادي. لكنهم ظلوا يحملون اسم (گيلانى).

وسيّد طه هو ابن الشيخ عبيد الله زعيم ثورة (١٨٨١م)، وقد أيّد البريطانيين في الحرب العالمية الأولى، لذا عُيّن حاكمًا على راوندوز في العراق، وانتقلت الزعامة

الدينية إلى حفيد آخر هو الشيخ عبيد الله أفندي الذي عبر من العراق إلى إيران سنة (١٩٤١م)، واستقر في مقرّ العائلة في وادي مركور Mergawar.

وفي سنة (١٩٤٥م) كان أتباع الشيخ عبيد الله في إيران يعادلون قبيلة متوسطة الحجم، ولقد لعبت مجموعة أخرى في العراق تدعى (المهاجرين)، تماثل أتباع الشيخ عبيد الله من حيث الحجم، دوراً متوازنًا في عهد جمهورية مهاباد، واحتفظت بعلاقات اتصال مع القبائل وحكومة الجمهورية معًا، وقد استمرّ نفوذها الروحي بعد سقوط الجمهورية، حينما سُمح لها بالبقاء في مركور تحت مراقبة رجال أمن الشاه الذي توفي سنة (١٩٧٠م).

(٤)
قبائل كرد خراسان

يعيش عدة مئات ألوف من الكرد في إقليم خُراسان بشرقي إيران، قرب مدينة قوچان Quchan الواقعة شمال غربي مدينة مَشْهَد، ويظهرون في التاريخ الكردي مثلاً للسياسة الفارسية في تهجير القبائل إلى مناطق إستراتيجية، حيث يمكن لهذه القبائل مراقبة قبائل أخرى وكبح جماحها، وفي حالة كرد خراسان كان الدور المرسوم لهم هو كبح جماح الأُوزبك. وكما هو شأن كرد الأطراف الآخرين فإن كرد قوچان قد أنتجوا منسوجات مهمة ومتنوّعة.

وحسبما يذكر فان بروينسن Van Bruinessen فإن قبائل كرد خراسان ينقسمون إلى ثلاثة فروع هي: شادلو Shadlu، زَعْفِرانلو Zefiranlu، وتُوپكالُّو Tupkallu، وهم مسلمون شيعة، ويتكلمون لهجة كرمانجية ممتزجة بالفارسية وبلهجات الشعوب التركية المجاورة، ويخبرنا فان بروينسن أنهم يضمون كرداً من اتحاد جيمشكزك Gemiskezek-Chemishkezek الذين أُرسلوا إلى هناك سنة (١٦٠٠م) من قبل الشاه عباس، ومن المحتمل أن كثيرين من هؤلاء الكرد ينتمون من حيث الأصل إلى مدينة جميش كزك، شمالي ألازيغ Elazig في الأناضول، حيث تقيم الآن قبيلة شَفاق Shavak.

ومن الواضح أن كرداً آخرين استقروا قرب قوچان في القرن الماضي، وأن هاتين المجموعتين اندمجتا على نحو كبير بالكرد الذين هاجروا من جنوبي القوقاز، حينما احتل العثمانيون تلك المناطق سنة (١٥٧٦م). والحق أن الكرد المهاجرين من القوقاز، إضافة إلى قسم من جيمشكزك، كانوا قد أقاموا بداية في مقاطعة فيرامين

Veramin قرب طهران، ومن هناك انتقل بعضهم إلى خراسان، هذا وإن كرد قوچان والمجموعات الكردية حول فيرامين يستحقون دراسة أعمق وأوسع حول منسوجاتهم التي احتفظت بأنماط النسج في القوقاز ووسط الأناضول.

الفصل الرابع

القبائل الكردية

في

العراق

مدخـــــل

إن هذا الاستعراض للقبائل الكردية في العراق مؤسّس على معرفتي الشخصية بعدد منها، إضافة إلى المعلومات المتراكمة خلال إقامتي في كركوك وبغداد، والمعلومات المستمدّة من كتب مطبوعة لكل من مارك سايكس سنة (١٩١٥م)، وس.ج.إدموندز C.G.Edmonds سنة (١٩٥٧م).

ورغم أن معظم سجاد خوزستان إيران الذي يصل إلى الأسواق الأوروبية هو من نسج كرد غير قبليين، أو نسجتها قبائل صغيرة تقيم في أطراف كردستان، فإن إنتاج السجاد في كردستان العراق يتمركز بين القبائل الكبيرة، وخاصة الفروع الرحّالة منها، ويمكن تقسيم هذه القبائل إلى مجموعتين رئيستين:

- المقيمون جنوبي خط الموصل- أربيل- راوندوز.
- المقيمون شمالي هذا الخط.

(١)
المجموعة الأولى
(جنوبي خط الموصل- أربيل- راوندوز)

تتكلم هذه المجموعة باللهجة السورانية أو السليمانية[٢٣]، في حين يتكلم الكرد الشماليون البهدينانية (اللهجة الكرمانجية)، ويدور كثير من قبائل الجنوب في فلك الثقافة الفارسية، في حين أن الذين يقيمون في الشمال لهم صلات بالتقاليد التركية.

والحقيقة أن العائلات الحاكمة في عدد من القبائل الجنوبية الهامة ترجع أصلاً إلى الجانب الإيراني من الحدود، وقد اندمجت في الجانب العراقي خلال القرن الثامن عشر فقط.

وتستأثر المنطقة الجنوبية بالمدن الهامة، وهي أربيل والسليمانية وكركوك، والأخيرة هي نصف كردية تقريبًا[٢٤]، وهذه المنطقة هي الموطن الأم لقبيلة جاف Jaf الكبيرة، ولقبيلتي دزەیی Dizai وپشدەر (پژدەر) Pizhdar.

čĎ- نسبة إلى مدينة السليمانية في كردستان الجنوبية- المترجم.

čď- هذه شهادة من الكاتب تؤكد أن مدينة كركوك ذات أغلبية كردية، وتفنّد المزاعم التي تقول إن كركوك مدينة ذات أغلبية تركمانية أو عربية، لأنه إذا كان نصف سكان المدينة من الكرد، فهذا يعني بالضرورة أن النصف الآخر يتوزّع بين التركمان والعرب والكلدان والآشوريين، وأن أية قومية من هذه القوميات لا تشكّل الأغلبية في المدينة، لا بل يعني أن أية قومية من هذه القوميات لا تشكّل ولو نصف عدد سكانها.

ثم لا ننس أن الكاتب عاش في العراق خلال الثمانينيات من القرن العشرين، وتعود معلوماته إلى تلك الفترة، وكانت سياسة التعريب في كركوك وغيرها من المناطق الكردية المحاذية للمناطق

إن المنطقة الشمالية لا تضم مراكز حضارية تستحق الفخر، لكنها تضم البارزانيين المولعين بالقتال، وقبيلة هركي الرحّالة الضخمة، وخليطًا من الكرد، والإيزديين والمسيحيين شمالي الموصل، هذه المدينة التي تعدّ مدينة عربية، وتسكنها أقلّيات كردية ومسيحية.

١- الكرد الجنوبيون:

طوال سنين كثيرة كانت السليمانية (سليماني) عاصمة ثقافية وسياسية لكردستان العراق، وعلى أية حال تغيّر الأمر، وأصبحت مدينة أربيل هي الآن عاصمة الحكم الذاتي في المنطقة الجبلية في العراق. وكانت السليمانية هي مركز الحكم لإمارة بابان Baban من القرن السابع عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ولذا فإن الكرد الجنوبيين في العراق يُدعون بالكرد البابان، إشارة إلى الرابطة الثقافية واللغوية أكثر من الرابطة السياسية.

وبعد زوال إمارة بابان وقعت منطقة السليمانية في دائرة نفوذ السادة القادرية المجاورين لقرية بَرْزِنجي Barzinji. وكان زعيم هذه القبيلة هو الشيخ محمود الذي اتخذ لقب ملك كردستان بعد الحرب العالمية الأولى، وعاش إلى سنة (١٩٥٠م)*، وكان يمثّل تهديداً دائمًا للسلطات الحكومية، وكان ابنه شيخ بابا علي وزيرًا في حكومات بغداد، ولكنه كان يمضي معظم أيام حياته في لندن.

العربية قد بلغت أوجها حينذاك، فإذا كانت كركوك نصف كردية تقريبًا بعد بدء سياسة التعريب، وبعد ترحيل عشرات الآلاف من الكرد عنها، وتوطين العرب محلّهم، فكم كانت نسبة الكرد فيها إذًا قبل سياسة التعريب؟!- المترجم.

* عاش الشيخ محمود الحفيد الى عام ١٩٥٦ (الناشر).

وثمة عائلة دينية أخرى، هي شيوخ النقشبندية في بيارا Biara، لعبت دورًا دينيًا- سياسيًا على الحدود العراقية- الإيرانية جنوبي السليمانية وقرب حلبجة، أما القبائل الرئيسة من قبائل جنوبي كردستان العراق فيمكن تصنيفها ضمن ثلاث مجموعات هي:

- الجنوب الأقصى.
- جبال الجنوب.
- وسهل أربيل.

٢- كرد الجنوب الأقصى:

يتألف كرد الجنوب الأقصى من قبائل: طالبَاني، دَاوُدي، بَيّاتي[٢٥]، زَنْكَنَه، شَرَف بِياني، جَبّاري، وكِفْري جاف. وإن هذه المجموعة الجنوبية تتقاسم في معظمها منطقة السهول والجبال المنخفضة مع الكرد غير القبليين ومع العرب، ولا سيما على امتداد الأطراف الجنوبية والغربية، ولم يكن الأتباع القبليون يمارسون عملاً مهمًّا هنا لسنوات كثيرة، والآغاوات والبگوات والشيوخ الذين يحتفظون بالزعامة القبلية على نحو وراثي هم ملاك الأرض بشكل أساسي.

وتسكن قبائل طالباني وداودي وبيّاتي النصف الغربي من هذه المنطقة، وهي منطقة هضاب مرتفعة، ترتفع شرقي الجبال الواقعة على الحدود الإيرانية، وهذه القبائل- باستثناء قبيلة جاف التي ستكون موضوع البحث فيما يأتي- لم تشارك بعمق في السياسات الكردية، أو في التاريخ الكردي الحديث، باستثناء الشخصية البارزة جلال

ČĐ- في أصل هذه القبيلة اختلاف، فثمة من يعدّها تركمانية الأصل، وآخرون يعدّونها عربية، وقد صنّفها الكاتب ضمن القبائل الكردية كما نرى، علماً أنه يشير إلى الأصول التركمانية والعربية لبعض القبائل المقيمة في كردستان، ولم يفعل ذلك في حديثه عن قبيلة بياتي- المترجم.

طالباني، زعيم أحد الحزبين السياسيين الكرديين الرئيسين، وهـذه القبائل لا تعـدّ من المنتجين المهمّين للسجاد والكِليم.

٣- قبائل الكرد الجنوبية:

- جـاف Jaf: في بدايات القرن العشرين كانت قبيلة جاف تعد عشرة آلاف عائلة (حوالي ستين ألف فرد) حسبما ذكره مارك سايكس، وجاف العراق هم الآن بضع مئات ألوف أقوياء، ومركزهم المدني على الجانب العراقي هو حلبچه، وثمة فروع من القبيلة إلى الأبعد جنوبًا تدعى كِفْري جاف Kifri Jaf. ويُعتقد أن أسرة (بگزاده) زعيمة جاف قد دخلت إلى المنطقة في القرن الثامن عشر مع دخول عشيرة مُرادي الرحّالة، أحد فروع قبيلة جاف المقيمة في إيران، وفي سنوات قليلة، وعبر السيطرة على الأراضي وامتلاكها هيمن البگزاده على منطقة واسعة كانت تسكنها قبائل صغيرة، ويقطنها كرد غير قبليين.

إن س.ج.إدموندز C.G.Edmonds دعا الجاف بالكرد الممتازين par excellence، ولا ريب أنها القبيلة الأعظم أهمية من بين قبائل جنوبي كردستان، وفي سنة (١٩٠٨م) عمل إ. ب. سون E.B.Soane ككاتب فارسي لدى زعيمتهم القبلـية عادلة خانم. وفي سنة (١٩٨٤م) كان بيتها هو الوحيد الذي ظل مثالاً لفن العمارة في القرن التاسع عشر بمدينة سِنَه Senna، أما المنزل الفخـم الذي يعـود لحامـد بك فقـد دمّر خـلال ثورة سنة (١٩٥٨م).

إن ثراء الجاف يقوم أساسًا على المنتجات الزراعية في وادي شهرزور الموفور المياه، غير أن كثيرين من الجيل الحديث من بگزاده موظفون أو تجار في بغداد أو في ميدان آخر، وكان الجاف في وقت مضى نساجـون جيـدون للسجاد، ولا سيما الحقـائب المهدّبة، لكن معظم هذه المنتجات كانت مرتبطة في الماضي بنمط الحياة الرعوية.

- هَمـاوَنْد Hamawand: تقيم قبيلة هماوند الضخمة في المنطقة الجبلية بين كركوك والسليمانية، والتي كانت چمچمال Chemchemal المدينة الرئيسية فيها. وكانت هماوند حتى الحرب العالمية الأولى هي الأكثر شهرة بالقتال بين القبائل الكردية. ومثل الجاف فإن زعماء هماوند قدموا إلى المنطقة من فارس في القرن الثامن عشر الميلادي، وهذه هي القبيلة الكردية العراقية الوحيدة ينتهي اسمها بـ(وَنْد) التي هي لاحقة (مقطع إضافي) لورية تعني (سليل/ فرع) وهذا يعني أن لهذه القبيلة أصلاً في لورستان الفارسية، أو قريبًا منها.

ويذكر مارك سايكس أن قبيلة هماوند كانت تعدّ (١٢٠٠) عائلة في عهـده، وكانت عظيـمة البسالة والشجاعـة والذكاء. وفي سنة (١٨٧٨م) تمكن (٦٠٠) فارس هماوندي مسلّحين بالرمـاح فقط من التغلغل بعيـداً في القوقـاز، ورجعوا بغنـائم كثيرة، وغزوا منطقة قصر شِيرين أيضًا في فارس، وربما قريبًا من موطنـهم الأم. وفي سنة (١٩٢٠م) تبدّدت قوة هماوند الحربيـة إلى غير رجعة، ولعلها لا تنتج سجاداً، لكنها تنتج منسوجات أخرى.

- پشدەر Pizhdar: بعد قبيلتي جاف و دِيزائي تعدّ قبلية پيشدر هي القبيلة الأكبر في جنوبي كردستان العراقية، والعائلات الحاكمة هم آغاوات مير أودالي (مير عَبْدالي)، ومدينتهم المركزية هي قلعة دِزَه Qala Diza. وكلمة (پشدەر) تعني بالكردية: خلف الباب أو يرحل أو طريق، إشارة إلى الجبال الجرد بين وادي بيشدر الواسع الذي غُمر الآن بميـاه سدّ دوكان، وبين الجبـال والوديان الواقعة في الغرب. ولم يصنف مارك سايكس قبيلة پيشدر في دراسته ضمن القبـائل الكردية في الإمبراطـورية العثمـانية، والتي نشرت سنة (١٩١٥م).

وتنقسم قبيلة پيشدر إلى ثمانية فروع، وتتألف الفروع الثلاثة الرئيسة من: بابكر آغا، أحمد آغا، محمود آغا. والتنافس في الفرع الواحد مألوف، ويتضح ذلك من

خلال دعم بعضهم للحكومة المركزية، ووقوف بعضهم الآخر ضدها، وبما أن مواطن إقامة پيشدر نائية فإن زعماءها يمارسون سيطرة محلية هامة. وتنسج قبيلة پيشدر السجاد وبعض المنسوجات الأخرى، ولكن عندما تصل هذه المنسوجات إلى الأسواق لا يُعرف مصدرها.

- آكو Ako: قبيلة آكو تجاور قبيلة پيشدر، ومدينتهم الكبرى هي رانيه Rania، وهذه القبيلة أصغر من پيشدر (٥٠٠ عائلة أيام مارك سايكس)، لكن زعماءها مارسوا نفوذاً مؤثّراً في المنطقة، بما فيها منطقة پيشدر. وإن فرعين صغيرين من قبيلة عكو، هما بولي Boli وبابولي Baboli، رحّالتان بشكل كلي، وبعض الفروع الأخرى شبه رحّالة، وزعيم القبيلة هو عباس مامَنْد آغا من قرية سَرْكَبْكان Serkabkan، ويُعرف عادة باسم عباس آغا عكو، وكان شخصية كردية سياسية وحربية بارزة في سنة (١٩٦٠م) و(١٩٧٠م)، وابنه مامَنْد هو الزعيم الآن، ويصعب تحديد هوية السجاد الذي تنسجه قبيلة عكو، كما هو شأن السجاد الذي تنسجه قبيلة پشدەر.

- منگور Mangur ، پيران Piran، مامش Mamash، سِنَه Sinna، رَمَك Ramak: تؤلف هذه القبائل الخمس الجزء العراقي من اتحاد بِلْباس Bilbas، والقبيلتان الأخيرتان منها صغيرتان جداً، ويقيم الفرع الأهم منها على الجانب الإيراني من الحدود، وتنتج قبائل بلباس السجاد، لكنها تحتاج إلى دراسة معمّقة قبل تحديد هويتها بدقة.

- خُوشْناو Khoshnaw: تتمركز هذه القبيلة الضخمة والثرية في مدينة شَقْلاوة على الطريق الرئيسي من أربيل إلى الحدود الإيرانية، ولعل آغاوات وبكوات خوشناو أتوا من منطقة سِنَه في إيران في القرن الثامن عشر ميلادي، مثل زعماء قبيلتي دزەيی وجاف.

والعائلة الحاكمة في خوشناو هي (ميراني)، وزعيمهم المعاصر هو عثمان (أوسمان) ميراني، وفي سنة (١٩١٥م) وصف مارك سايكس هذه القبيلة بأنها مسالمة، ولم يطرأ ما يغيّر ذلك التوصيف، هذا على الرغم أنها كأفراد غالبًا ما وجدوا في وحدات الجيش. ووجدنا في شقلاوة امرأة تنسج سجاداً متراخيًا مليئًا بالعقد ذا صبغ رديء، وحاولنا تشجيعها على نسج سجاد آخر من أصباغنا، فكان الجواب أن ذلك سيستغرق عملاً كثيرًا، وهذا هو الموقف الشائع حيثما وُجد التلفاز وأنماط التسلية الأخرى.

ـ بالِك Balik: تقيم هذه القبيلة المتوسطة الحجم على الحدود الفاصلة بين شمالي كردستان وجنوبيها، في أعالي الطريق من منطقة قبيلة خوشناو باتجاه إيران، والزعيم الأكبر لهذه القبيلة هو قادر آغا من قرية رُسْت Rust، وتنسج قبيلة بالك قليلاً من الكليم ولعلها تنسج القليل من السجاد أيضًا.

٤ - قبائل سهل أربيل:

- دزەيی Dizai: قبيلة ديزائي كبيرة جداً، وهي تتألف من قبائل صغيرة كثيرة، ومن الكرد غير القبليين الذين يقيمون في السهول القريبة جنوبي أربيل، وقد توحّدت هذه المجموعة من القبائل تحت قيادة آغاوات دزەيی في القرن الثامن عشر الميلادي، ويشير لقب (دزەيی) إلى الآغاوات مباشرة، وهناك عدة آلاف من هؤلاء. وفي سنة (١٩١٥م) قدّر مارك سايكس عدد قبيلة دزەيی بخمسة آلاف عائلة، ووصف النساء بأنهن في الغاية من الجمال.

ويمكن تصنيف آغاوات دزەيی في خمسة أقسام: البَيْز أو البِيز Bize/Baiz، حسين آغا أو حسين باشا، كاكاخان، الآغاوات الفرس، إبراهيم آغا. وفي الماضي كانت هذه المجموعات متاخمة فيما بينها، ولا سيما فرع بيز وفرع حسين آغا. وإن خضر أحمد

باشا هو الرجل الأعلى شأنًا والأكبر سنًّا في فرع حسين آغا، ويشاع عنه أن عمره يتجاوز مئة عام، وبالتأكيد أنه لم يكن شابًا حينما التقيته سنة (١٩٥٥م).

وقد تطوّر نضال الفلاحين في منطقة دزەيی سنة (١٩٥٠م)، وبعد ثورة (١٩٥٨م) أضعف توزيع الأراضي سيطرة الآغاوات من ملاّك الأرض بشكل فادح، وكان هؤلاء يمتلكون في السابق قرية أو أكثر؛ والآن بفضل استخدام التقنيات الحديثة فإن المساحات المحدودة التي يمتلكونها تدرّ إنتاجًا يعادل ما كان تدرّه جميع قراهم في الماضي، حينما كان الإنتاج منخفضًا وكانت نفقة العناية بها أكبر.

وفي سنة (١٩٥٠م) انصرف الآغاوات إلى المشاريع التجارية في أربيل، وعمل آخرون في المحاماة والطب والهندسة والتعمير، لهذا احتفظ الزعماء القبليون التقليديون وأسرهم بنفوذ كبير في هذه المنطقة وفي كل مكان آخر من كردستان، وقد أسهمت فرص التعليم العالي التي أتيحت لهم، وعلاقاتهم الحسنة، في وجود هذه الظاهرة. وكانت قبيلة دزەيی وما زالت تجيد إنتاج السجاد، وإن أنماط ذلك السجاد تنمّ عن أصول كردية إيرانية؛ ولسوء الحظ يغلب عليها الأصباغ الرخيصة المشتراة من سوق أربيل.

- گەردی Girdi: قبيلة گەردی هي ثاني أضخم وأهم قبيلة في مناطق سهول أربيل، وكان تعدادها في عهد مارك سايكس ستة آلاف عائلة، ويعيش فرع صغير منها يقدّر بحوالي (١٢٠٠) عائلة في الجزء التركي من هكّاري شمالاً. وتتفرع قبيلة گەردی في العراق إلى فرعين: يقيم أحدهما في شمالي أربيل، ويقيم الآخر في جنوبها الشرقي قرب كوينسجق، وكان يقود الفرع الأول (بيزا Biza) جميل آغا من قرية بەحركه Baherka، وكان يقود الفرع الثاني محسن حَمَد آغا من شكافت سەقا Shkaftsaka. وينسج الگرديون بسطًا عريضة وثقيلة بأصواف نادرة، ولكن قربهم من أربيل جعلهم يجلبون أصباغًا رخيصة لنسج القطع الجديدة.

- مەنتك سُورچی Mantik Surchi: هذه القبيلة الصغيرة هي فرع منفصل من قبيلة سورچی الضخمة التي تقيم في أقصى الشمال، وقد وجد المانتك في منطقة التلال شرقي طريق أربيل ـ ألتون كۆپری، وبعض المانتك رحّل، ولعل أهمية هؤلاء ناجمة عن المنسوجات المسطّحة والحقائب الممتازة التي ينتجونها، والزعيم المعاصر لمانتك سورچی هو إبراهيم آغا.

- شُوان Shuan: تتألف هذه القبيلة المتوسطة المقيمة شمال شرقي كركوك من الرحّل، حسبما يدل عليه الاسم الكردي (Shuan). وليس لها زعماء ذوو شأن، وشخصياتهم المعتبرة في التاريخ السياسي نادرون، إلى درجة أن مارك سايكس لم يذكرهم.

- شيخ بِزيني Shaikh Bizaini (Bezeini).: وصف مارك سايس هذه القبيلة بأنها ضخمة (أربعة آلاف عائلة)، وبأنها مولعة بالقتال، وتقيم هذه القبيلة في (طَقْ طَقْ) بين كركوك والمنطقة القبلية للمنتفق، وهي تعاني بشكل واضح من الضعف في مجال القوة العسكرية وفي النفوذ إلى يومنا هذا.

- سِيان Siyan: قبيلة صغيرة تقيم في قرية سَرْبشاخ Sarbashakh، بجانب حقول البترول في كركوك، وتحديدًا بين كركوك وأربيل، وهي قبيلة قديمة، وكانوا موجودين في المنطقة قبل مجيء آغاوات دِيزائي في القرن الثامن عشر الميلادي، وزعيمها مشير بن هادي آغا الذي يقيم الآن في أربيل.

- كُورا Kora: قبيلة صغيرة يقع موطنها على الطريق الرئيسي الممتد من أربيل إلى شَقْلاوة، ويقال إنها كانت جزءًا من اتحاد بِلْباس.

(٢)

المجموعة الثانية

(شمالي خط الموصل- أربيل- راوندوز)

تتفرع القبائل الكردية الشمالية إلى مجموعتين تقيمان شمال شرقي وجنوب غربي أربيل، وكانت المجموعة الأولى تُدعى أحيانًا (قبائل أربيل)، لتمييزها عن المجموعة الثانية التي تدعى عادةً (قبائل الموصل).

١- قبائل أربيل:

- بارزاني Barzani: قدّر مارك سايكس عدد أفراد قبيلة بارزاني بـ (٧٥٠) عائلة، وذكر أنهم مشهورون بسبب قدراتهم الحربية، وبسبب المكانة العائلية الدينية. والبارزانيون ليسوا قبيلة صغيرة، ولا هم قبيلة بالمعنى التام إذا جاز التعبير، إنهم بالأحرى اتحاد هام لكرد غير قبليين ولقبائل صغيرة، خضعوا جميعهم لنفوذ شيوخ النقشبندية في بارزان، وقد مرّ سابقًا ذكر قصة البارزانيين وقائدهم العسكري والسياسي ملا مصطفى بإيجاز في الفصل الخاص بتاريخ الكرد، ونحن نصنّف هنا التركيبات القبلية، والعنصر الأكبر أهمية في بارزاني، وهم الشيروانيون الذين يعدّون (١٨٠٠) عائلة حسبما ذكر مارك سايكس، وقد وصفهم بأنهم كادحون مجدّون ومضيافون، لكنهم مولعون بالقتال.

وفي الدرجة الثانية تأتي قبيلة مزوري شمالي بارزان، وهم يقيمون في قرى قرب الحدود التركية، ولهم صلات بـ(نيروه) Nervas، في حين يقيم في الشرق قبيلتا بەرۆژی و دۆلەمەری. وهناك أيضًا عدد من القرى التي يقطنها كرد غير قبليين منضمّون إلى

البارزانيين. إن باعة السجاد في أربيل وبغداد ينكرون وجود منسوجات بارزانية، لكن بحثنا يبيّن خلاف ذلك.

- زِيباري Zibari: قرب جبال زيبار وغربي بارزان توجد قبيلة زيباري الكبيرة، وكانت لعدة أجيال متخاصمة مع البارزانيين، ورغم الدعم الذي تلقّاه الزيباريون من الحكومة المركزية فإنهم لم يحقّقوا الغلبة في هذا الصراع الطويل. وقد وصف مارك سايكس الألف عائلة الزيبارية بأنهم فلاحون مجدّون، وأنهم زرّاع جيدون للكرمة، وأنهم بنّاؤون مهرة، ومضيافون، غير أن ثمة خصومات عجيبة فيما بينهم، وإذا كانوا ينسجون السجاد فإن إنتاجهم غير معروف كثيرًا من قبل الباعة.

- برادوست Bradost: قبيلة كبيرة نائية، تقيم شمال شرقي الزيباريين، واكتسبت اسمها من نهر وجبال تلك المنطقة، ودخل هؤلاء القبليون في صراع ضد البارزانيين أكثر من مرة، ولكن دون أن يحقّقوا نجاحًا نهائيًا، ومن زعمائهم الجد محمود بك خليفة وشيخ رشيد لُولان، وهم ينسجون نمطًا من السجاد نادرًا ما يُميَّز من الأنماط الأخرى*.

- سُورچی Surchi: تتفرّع هذه القبيلة الكبيرة والمهمة إلى فرعين رئيسين: يعرف الأول أحيانًا باسم (باتاس سورچی) Batas Surchi، وهي تقيم شمال غربي أربيل قرب الطريق الرئيسي المتجه إلى إيران. ويعرف الفرع الآخر بفرع عَقْرة أو بهدينان، وهو يقيم شمالي أربيل قرب مدينة عقرة، وزعماء سورچی أربيل هم آغاوات أبرزهم أبناء خضر حَمَدا شين، وحسين آغا، وعمر آغا، وهم خصوم تقليديون للبارزانيين، كما أنهم منتجون لتشكيلة متنوعة من السجاد والحقائب والكليم، لكن أدوات اللهو والتسلية الحديثة وصلت إلى قراهم التي يصعب الوصول إليها، فأضعفت

* لم يعد لهذه القبائل مع البارزانين في الوقت الحاضر أي صراع يذكر (الناشر)

إنتاجهم. والفرع الذي يقيم غربي نهر الزاب قرب عقره يقاد من قبل شيوخ دين يتزعّمهم صابر، وهذا الفرع أيضًا ينتج بعض السجاد والمنسوجات الأخرى.

- هَركي Herki: هي أضخم القبائل الرحّالة في كردستان، لكن ربما كان هذا الشيء في الماضي، أما الآن فإن المناطق العسكرية قد أقيمت على امتداد الحدود حيث تقع المراعي الصيفية التقليدية، ولا يُسمح لكثير من فروع هذه القبيلة بالعبور إلى المراعي الصيفية على الجانب الإيراني منذ سنوات كثيرة، ونتيجة لذلك انخفضت بشكل كبير أعداد آلاف من الأغنام والماعز والدواب والماشية التي كانت في حوزة هذه القبيلة، وتبذل الحكومة جهودًا لتوطينها، وتوجيهها نحو الزراعة.

وقد أشار مارك سايكس إلى وجود ثلاثة آلاف عائلة هركية، وقال: إنهم وجدوا بعيدًا في الشمال عند (وان) و(أرضروم) في تركيا، وكتب أنهم ذوو بشرة شديدة السمرة، وهم حسبما يذكر جيرانهم ليسوا كردًا، وإنما من سلالة العبيد، ونساؤهم جريئات وشجاعات كالرجال. وإن كثيرًا من الحل والربط في الحياة الرعوية هو في أيدي النساء، وهن ينتجن المنسوجات، ويُعرَف الهركيون بأنهم منتجون جيدون لها من بين كرد العراق.

ومثل قبيلة سورچى تتفرع قبيلة هركي إلى فرعين رئيسين:

المِنْدان الشماليون (مَنْدان) أو فرع الموصل الذي يستقر قرب عقره، ويُقاد من قبل أسعد آغا.

والسِّهاتي الجنوبيون sothern Sihatti أو فرع أربيل الذي يتزعّمه كمال بن فتّاح آغا.

وفي الصيف يتحرك الفرعان تقليديًا إلى المراعي على الحدود الإيرانية أو غيرها. ولآغاوات قبيلة هركي صلات قربى ومصاهرة مع قبيلة هركي في إيران، ويصل السجاد والكليم والحقائب التي تنتجها قبيلة هركي إلى أسواق أربيل وبغداد

بكثرة، ويُنسب كثير مما تنتجه القبائل الأخرى إلى قبيلة هركي، ومن المحتمل أن تؤول وفرة منتجات قبيلة هركي إلى النضوب، شأن حقائب السُرُج التي تنتجها قبيلة جاف في أقصى الجنوب، حينما أصبح ما يصنع حديثًا عديم الجدوى بسبب تدهور النمط الرعوي والبيع.

- رُواندُك Rowandok: تقيم هذه القبيلة الصغيرة جنوبي برادوست تمامًا والتي تنضمّ إليها أحيانًا، واستقرّ بعض الرجال القبليين في القرى حيث تنتج السجاد، وآخرون ما زالوا رحّالة.

- خَيْلاني Khailani وبَيْلَكاني Bailkani: هاتان القبيلتان الصغيرتان رحّالتان، وتنتقلان في أعالي الحدود عبر بعض الممرات المماثلة لتلك التي تنتقل فيها قبيلة هركي، لذا فهم مهمّون كمنتجين للسجاد والكِليم والحقائب، وتنضمّ خَيْلاني إلى سورچى.

- شيوخ زينو Zeno: على الطريق الرئيسي الممتد من أربيل إلى الحدود الإيرانية تعيش عائلة الشيوخ النقشبندية في قرية (زينو) الحدودية وبالقرب منها، وهم يستمدون نفوذهم من أتباعهم الدينيين في العراق وإيران، ومن موقعهم الإستراتيجي على الحدود.

٢ - قبائل الموصل:

لقبائل الكرد المقيمة شمالي الموصل قليل من التواصل أو التاريخ المشترك مع الكرد في العراق، وتركيبتهم القبلية أقل وضوحًا مما هو للقبائل الشرقية، وتوجد في هذه المنطقة عدة مدن هامة يسكنها مزيج من الكرد غير القبليين ومن المسيحيين، وتلك المدن هي: دُهوك، وزاخو، والعمادية، والمناطق المجاورة مسكونة أيضًا بمزيج من الكرد والمسيحيين والإيزديين في مناطق خاصة بهم.

- المسيحيون: إن مدينة الموصل الكبيرة (عدد سكانها مليون نسمة) تقع على جنوبي الضفة الغربية لنهر دجلة خارج كردستان تمامًا، وإن السكان المسيحيين الموصليين الكثيري العدد هم على أية حال بمثابة جسور مع القرى في الشمال التي هي كليًا أو جزئيًا من المسيحيين، ويعيش قليل من الكرد المسلمين في الموصل، وثمة حيّ كردي صغير ضمن أسوار نينوى القديمة على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وهذا يستدعي ذكر أن تحطيم الإمبراطورية الآشورية حدث حينما حاصر جيش بابلي وجيش ميدي (كردي) المدينة سنة (٦٠٧ ق.م)[٢٦]، ودخلوها آخر الأمر بفضل سيول المياه من نهر دجلة، تلك السيول التي قوّضت الأسوار الغربية.

وإن عددًا من القرى في الشمال والشرق مسكونة بالمسيحيين الذين ينتمون إلى الآشوريين القدماء والكنيسة اليعقوبية، وكنيستهم مماثلة لكنيسة الكلدان والسريان. وهذه القرى المسيحية ليست قبلية، لكن المسيحيين في أقصى الشمال، بما فيهم الآشوريون والكلدان والأرمن، سكنوا الأرض القبلية الكردية، وصنّفوا أحيانًا كأعضاء في القبائل الكردية. والعلماء المسيحيون أنفسهم غير متأكدين ما إذا كان المسيحيون في شمالي العراق من العِرْق نفسه الذي ينتمي إليه الشعب المحيط بهم- وهذا يعني أن معظمهم كرد- أم أنهم من شعب قديم آخر منفصل، ومن المحتمل أنهم مزيج من الاثنين [الكرد والشعب القديم]، ولكنهم يتميزون في العادة من الكرد المجاورين.

- الإيزديون: إن الإيزديين- وهم أتباع طريقة إسلامية مبتدعة- يشكّلون مجموعة أخرى في قبائل الموصل، وقد صنّفوا بعض الأحيان مع الكرد، وأحيانًا لا يُصنّفون معهم، وهناك دلائل قوية على صلة الإيزديين بالكرد أكثر من الصلة بين المسيحيين

čď- المشهور في المصادر التاريخية أن سقوط نينوى كان سنة (٦١٢ ق.م)- المترجم.

والكرد، لأن الإيزديين يتحدثون فيما بينهم باللغة الكردية، في حين يتحدّث المسيحيون بلهجات متنوعة من السريانية الشرقية.

ويوجد الإيزديون العراقيون في منطقتين منفصلتينÝ إذ تقيم مجموعة قرب مزار الشيخ عدي في منطقة شيخان على بعد (٥٠) كيلو مترًا شمالي الموصل، وتقيم المجموعة الأخرى في جبل سِنْجار بالمنطقة الشمالية الغربية من الموصل باتجاه الحدود السورية. والزعيم الروحي للإيزديين هو مِير Mir تحسين بك، وكان يقيم تقليديًا في شيخان أو قرب مزار الشيخ عدي، وإن تأييده لملا مصطفى جعله يخرج من العراق أواخر سنة (١٩٧٠م)، لكنه رجع ثانية سنة (١٩٨١م).

وما زال ثمة افتقار إلى مصدر موثوق حول العقيدة الإيزدية، رغم أن هناك كثيرًا من الكلام حول حقيقة أن (الشيطان)- في شكل (ملك طاووس) Malek Taus- قد أعطي مكانًا ممتازًا في عقيدتهم، وقد تعرض الإيزديون للاضطهاد، وكانوا عرضة للقتل في القرن التاسع عشر الميلادي من قبل الكرد المجاورين، بسبب عقيدتهم التي لا يجوز لهم أن يفشوا سرّها للغرباء. ومعلومات معظم الإيزديين حول اللاهوت الإيزدي فقيرة، ومعروف على أية حال أن الأدعية المقدّسة ذاتها، والسناجق النحاسية على شكل طيور، لها دلالات خاصة، كما هو الأمر بالنسبة إلى أيام الأعياد، حينما يجتمعون عند مزار الشيخ عدي، ويرقصون على أنغام المزامير والطبول.

وقرب منطقة الإيزديين شمالي الموصل ثمة بعض الكرد غير القبليين الذين يسمون أنفسهم (گوران) Guran، وهو لقب للمواطنين الأصليين في شمالي كردستان قبل سيطرة الزعماء المحاربين في القرن الثامن عشر الميلادي. إن هؤلاء الگوران الموصليين يتكلمون لهجة شمالية أكثر من حديثهم بالبهدينانية.

- بَرْواري بالا Barwari Bala (برواري العليا)، بَرْواري ژێرى Barwari Jir (برواري السفلى): هاتان القبيلتان المنفصلتان تحتلان الجبال الواقعة شرقي منطقة زيبار قرب الحدود التركية، وتقيم برواري ژێرى في السفوح، وتقيم برواري بالا في الجبال العالية. وزعماء برواري بالا يحملون لقب (بگ)، في حين يحمل زعماء برواري ژێرى لقب (آغا), وفي هاتين القبيلتين عناصر كردية مسيحية بشكل واضح جدًا، ومدينتهم الرئيسة هي (العمادية)، ومن المحتمل أن برواري كانوا ينتجون في وقت ما الكِليم، لكن إنتاجهم للسجاد قليل بالتأكيد.

- گولى Guli، سِنْدي Sindi، سليڤانى Slivani: هذه القبائل الثلاث تشغل منطقة تقع مباشرة جنوبي الحدود التركية غربي برواري، وهم يعتبرون أحيانًا مجموعة واحدة نظرًا لخضوعهم لزعامة عائلة سليفانية في مدينة زاخو. وكانت العلاقات بين الآغاوات والقرويين لسنوات كثيرة كعلاقة الإقطاعي بالأجراء.

والمسيحيون في مدينة زاخو مجدّون سواء أكانوا فلاحين أم حرفيين، إنهم مشهورون بمصنوعاتهم المنزلية القائمة على خياطة الملابس لرجال القبائل، أما الطائفة اليهودية فقد غادرت زاخو سنة (١٩٤٨م).

وتتفرع قبيلة گولى إلى فرعين: سَيْداهر Saidahr، وگُولى Guli، غير أن كلا الفرعين ينضويان تحت زعامة غالِب آغا Galipas Aga من فرع من قرية ماريس Maris، وينتمي هذا الفرع إلى قبيلة سليفان.

وينقسم السليڤانيون إلى فرعي سِينا Sina ودُودْوادثا Dudwadtha، ويتولّى فرع دودوادثا قيادة القبيلة عادة، وقد وجدنا بعض السجاد نُسج في منطقة زاخو، وفي أنماط نسجهم سذاجة وخشونة، وهم لا يتنقّلون عادة بعيدًا عن أسواقهم المحلية.

- دُوسْكي Doski: إن قبيلة دوسكي الكبيرة تقيم شمالي مدينة دُهوك مباشرة، وجنوبي گولى وسِنْدي. وقرى هذه القبيلة ليست قبلية بشكل رئيسي، وتضم

آشوريين وأرمنًا، وكانت تضم اليهود سابقًا، ويقال إن قبيلة دوسكي جاءت من منطقة هكّاري الواقعة في تركيا، حيث ما زالت قبيلة دوسكي موجودة، ولم نتمكن من تحديد هوية منسوجاتهم بدقة.

- هرْتُوشي Hartushi: إن قسمًا من فرع گافدان Gavdan ينتمي إلى قبيلة هارتوشي في هكّاري الواقعة في تركيا، وكان هذا القسم في وقت مضى يقيم في شمالي الموصل قرب دهوك، وذكر مارك سايكس أن الگافدان كانوا مربّين جيّدين للخيول، وكانوا يخيّمون في الربيع قرب مدينة زاخو، ولعل بعضهم ما زال مقيمًا بين زاخو ودهوك.

الفصل الخامس

القبائل الكردية

في

تركيـــا و سوريا

مدخـــل

المعلومات المتوافرة حول القبائل الكردية في تركيا أكثر تفصيلية، وأقل دقة أحيانًا، مما ورد في الفصل المتعلق بالعراق وإيران، والمعلومات المطبوعة عن القبائل قليلة في الأقطار الثلاثة [تركيا والعراق وإيران]. ولكن أعطانا مارك سايكس في ملحق كتابه (ميراث الخلافة الأخير) المطبوع في لندن سنة (١٩١٥م)، قائمة مبنية على معلومـات جمعها خـلال رحـلاته الكثيرة على عربة تجرها الخيول، وقد قام بهذه الرحلة قبل الحرب العالمية الأولى عبر شرقي الإمبراطورية العثمانية.

وطُبع هذا الملحق أول مرة سنة (١٩٠٨م)، وإن معلوماته وبياناته قد أُرّخت، وهي نقطة بداية مفيدة في أية دراسة حول قبائل الكرد في تركيا، إنها أُلحقت بالموضـوع، (١٩٨٠- ١٩٨٥م)، وتضمنت بعض معلومـات مارك سايكس وليس كلها.

ويمكن البرهان على أن البنية القبلية في كردستان تركيا ضعفت خلال الستين سنة الماضية، إلى درجة أن الطابع القبلي واهن الصلة بدراسة النسج الكردي، هذا رغم أن القبائل تذكر لقبها القبلي في مناطق كثيرة، الأمر الذي يساعد على تحديد هوية الناس وهوية إنتاجهم، ومن المسلّم به أن آغاوات القبائل وشيوخ الدين فقدوا كثيرًا من نفوذهم، لكن ظل كثيرون منهم ملاّكًا للأرض، ولم يفقدوا كل نفوذهم.

وكتب مارك سايكس أنه بعد خمسة آلاف ميل من التَّرحال برًا، وإجراء عدد كبير من المحادثات مع السكان المحليين، كانت النتائج هزيلة إلى أبعد حدّ. ومهما يكن فقد صنّف الرجل (١٨٣) مئة وثلاثًا وثمانين قبيلة، كما أنه صنّف فروعًا إضافية ذات بنى قبلية، بدءًا من أنقرة حتى خانقين، مهملاً القبائل المقيمة في إيران فقط، وإن ما دوّنه عن قبائل الكرد في العراق ما يزال صحيحًا بشكل أساسي، وهذا يعني أن كثيرًا مما يشتمل عليه تصنيفه للقبائل في تركيا ينطبق على الواقع.

ولا يطمح هذا العرض إلى تصنيف كل الفروع والقبائل، ولكنه لن يغفل عن القبائل والفروع الأكثر أهمية، ولا عن تلك التي لاسمها علاقة بهوية السجاد والكِليم. وإن تفريعاتنا الجغرافية تتبع المناطق الأكثر إنتاجًا للمنسوجات، تلك المناطق التي صُنّفت في هـذا الفصل أكثر من المناطق الست التي أعترف أنهالم تكن ذات طـابع إثنولوجي، وإنما كانت أشكالاً ملائـمة للتجمّع فحسب.

(١)

قبائل وان ـ هكّاري

مدينة وان (٥٠٠٠٠ نسمة)، ومدينة هكّاري (٣٩٠٠٠ نسمة)، عاصمتان لإقليمين في جنوب شرقي تركيا.

إن جبال هكّاري هي الأكثر وعورة في كردستان، وإن قممها الشاهخة ووديانها الضيقة لا تسمح باستيطان كثير من السكان، وتتنقّل كثير من المجموعات القبلية الصغيرة المقيمة فيها إلى المراعي العالية صيفاً، وترجع إلى الوديان شتاءً. كما أن هذ الجبال واحدة من أكثر المناطق في تركيا اندلاعًا للثورات، إلى جانب سيول جارفة وجسور معطلة ووديان ضيقة قاتمة، وكانت بعض هذه الوديان موطن المسيحيين النساطرة (الآشوريين)، وانتقل معظمهم جنوبًا إلى إيران والعراق بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد خُصّصت هذه المنطقة للكرد بموجب معاهدة سيفر، إلى حدود أرمينيا شمالاً، وهنا وجدنا قبيلة ضخمة جدًا تتألف من اثني عشر فرعًا كبيرًا وعددًا من القبائل المتوسط والصغيرة، ومعظم هذه القبائل الأخيرة تشكّل- حسبما يقال- قسمًا من اتحاد بُوتان Bohtan في القرن التاسع عشر.

- هارْتُوشي Hartushi أو آرتُوشي Artushi: قبيلة كبيرة وهامة إلى حدّ كبير في منطقة هكّاري، ويقال إنها تتألف من اثني عشر فرعًا، يقارب كل منها أن تكون قبيلة بمفردها. وصحيح أن سايكس صنّف ستة عشر فرعًا لكن من المحتمل أن في أسماء بعضها تحريفاً في التهجئة، وقد ذكر سايكس أن قبيلة هارتوشي هي صلة الوصل بين الكرد في العراق والكرد في تركيا، وثمة على أقل تقدير فرع واحد هو

(گافدان Gavdan) له أو كان له وجود محدود في الجانب العراقي من الحدود. وفروع القبيلة غالبًا ما تشير وكأنها قبائل مستقلة. وبالمقارنة بين المصادر صنّفنا ما يلي:

گافدان Gavdan، قرب بيت الشباب.

زِهيركي Zihiriki، قرب بيت الشباب.

مامْخُوران Mamkhoran، قرب بيت الشباب.

قاشُوران Qashuran، قرب گورپينار Gurpinar.

شِيدان Shidan، قرب گورپينار Gurpinar.

آلان Alan، قرب گورپينار Gurpinar.

گرافِيان Gravian، قرب باشْكالي Bashkali.

إزْدِينان Ezdinan، قرب چاتك Chatak.

زَوْكان Zewkan، قرب چاتك Chatak.

هافِشْتان Haveshtan، قرب چاتك Chatak .

هَلِيلان Halilan، وثمّة من يضمّ هذا الفرع إلى هارتوشي، ويضمّه آخرون إلى بُوتان Bohtan.

هذا، ويقال إن بعض الكرد قرب بيت الشباب الذين لم يُضمّوا إلى فرع بعينه ينتمون إلى زَيْدَكان Zaidakan، أو ليست لهم انتماءات قبلية.

- گويان Goyan: يحتمل أن هذه القبيلة الكبيرة كانت ذات مرة فرعًا من قبيلة هارتوشي، وهي تقيم على الحدود العراقية قرب مدينة أُولُودَرَه Uludere.

- هَرْكي (بيناج Benaje أو فرع سَرْهاتي Serhati): هي فرع من قبيلة هركي الضخمة التي يقطن معظم أفرادها في العراق، ويقطن قسم كبير في إيران، وقليل منهم في تركيا، وهم نسّاجون غزيرو الإنتاج.

- پنيانی Piniani أو پنيانشلی Pinianishli: غالبًا ما تسمى هذه القبيلة (زَيْدان) Zaidan بعد الفرع الرئيسي، وهي قبيلة كبيرة تسكن شرقي هكّاري، وزعيمها أحمد زيدان، وتقيم قرب چكورچا Chukurca ويوكسكوفا Yuksekova. وتعد (١٢٠٠) عائلة حسبما ذكر سايكس الذي ذكر أيضًا فرع (زيدان) في هكّاري. والقبائل المندمجة في بينياني هي: بارْكُوشان Barkoshan، بيللِجان Billijan، گويجی Gwiji، شَفِيلان Shevilan.

- بُوتان Bohtan: يدل هذا الاسم أحيانًا على اتحاد قبلي في الفترة من القرن (١٧- ١٩) الميلادي ويقيم فرع (وان) في منطقة قلعة خُوشاب khoshab.

- برُوكان Brukan: قبيلة متوسطة الحجم وجدت في منطقة (وان) بتركيا، وقرب خُوي Khoi في إيران، وقليل منهم في الاتحاد السوفياتي [سابقًا]، ونسجهم قليل، ما عدا الحقائب.

- أُورامان Oraman: تقيم هذه القبيلة قرب مدينة (أُورامان) شمال شرقي الحدود العراقية مباشرة، في شرقي هكّاري، ولم تُصنّف هذه القبيلة من قبل سايكس، ولكن يُعتقد أنها تحتل مساحة على شكل زاوية منفرجة على الحدود العراقية، وبالقرب من هنا تنتشر قبيلة هركي أيضًا باتجاه الشمال في تركيا.

- بَرْواري Barwari: تقيم شمالي قبيلة گوّيان Goyan تمامًا.

- شِرْناخ Shirnakh (قبيلة بوتانية): تقيم غربي گوّيان قرب مدينة شِرْناخ، وهم ينسجون منسوجات منزلية صوفية (الموهير Mohair) للأزياء الكردية.

- دُوسْكي Doski: لهذه القبيلة علاقة قربى بقبيلة دوسكي التي تقطن شمالي دُهوك في العراق، وقد وصف مصدر واحد نسج دوسكي بأنه يتضمّن عناصر من نسج هارْتُوشي وهَرْكي .

- تِيان Tiyan: مجموعة رحّالة بوتانية، كان تعدادها ثلاثمئة عائلة في عهد سايكس.

- تَكُولي Takuli: تعدادها (٤٥٠) أربعمئة وخمسون عائلة حسبما ذكر سايكس، وهي تعيش قرب أُوزْأَلْب Ozalp شرقي وان، وتنسج السجاد والحقائب والكليم الطويلة.

- خانِي Khani أو خانِيان Khanian: تعدادها(١٨٠) مئة وثمانون عائلة حسبما ذكر سايكس، تقيم في هكّاري.

- شَمْسِيكي Shemsiki: هم كرد مستقرون، تعدادهم (٩٠٠) تسعمئة عائلة حسبما ذكر سايكس، يقيمون شرقي وان قرب الحدود الإيرانية، على مقربة من أُوزْأَلْب.

- دُودَري Duderi: كان تعدادها (٤٠٠) أربعمئة عائلة زمن سايكس، تقيم جنوبي بحيرة وان، وهم يقيمون قرب ماردين شتاءً، ويحلّون صيفًا في بهجه ساراي Bahchesaray.

- حَلاجي Halaji: عددها(٩٠٠) تسعمئة عائلة حسبما ذكر سايكس، وهم مزيج من كرد مستقرين وترك.

- هاواتان Hawatan: عددهم (٣٠٠) ثلاثمئة عائلة، وهم مستقرون في مقاطعة بُوتان.

- بللِيكار Bellicar: تقيم جنوب شرقي بحيرة وان، عددها (١٨٠) مئة وثمانون عائلة في عهد سايكس.

- كِيكا Keka: تقيم قرب مدينة هكّاري.

- مِيران Miran: تعدادها ألف عائلة في عهد سايكس، وهم رعاة هاجروا في الماضي من جزره Gizre إلى بحيرة وان.

- نُوچيان Nuchiyan: تقيم قرب نَهْرَهْ Nehra، قبيلة متوسطة الحجم.

- سلُوپى Slopi: تقيم شرقي جَزْرَه.

- هَيْرُوني Hairuni: تقيم شمال غربي جزره، كانت في وقت مضى تضم بعض المسيحيين اليعاقبة (السريان الأرثوذكس).

- آلِيكان Alikan: تقيم شرقي جزره، ولعل من الأفضل تصنيف هذه القبيلة مع قبائل مقاطعة دياربكر، وهي قبيلة مستقلة، وليست بُوتانية.

(٢)

قبائل

قارس - كاغِيزْمان - أرضروم

عدد سكّان مدينة قارس Kars (٢٥٠٠٠٠) مئتان وخمسون ألف نسمة، وهي عاصمة منطقة واسعة شمالي بحيرة وان، كان يستوطنها الكرد والترك والأرمن قبل الحرب العالمية الأولى، وبعد رحيل الأرمن بقي فيها الكرد والترك.

ويتكلم الترك فيها عددًا من اللهجات، وهم يتألّفون من أتراك القوقاز والترك الآذريين، والجدير بالذكر أن الروس احتلوا ولاية قارس من سنة (١٨٧٨م) إلى سنة (١٩١٨م)، لذا بقيت خارج خريطة سايكس للقبائل. وبحسب أحد المصادر يقيم بجوار مدينة قارس قبائل كردية تضمّ: مِيلاني (وهي الأكبر)، جمال الدين، كاش خاني، وجلالي، ولعل لهذه الأخيرة صلات قربى مع قبيلة جَلالي التي تقيم شمالي إيران.

ومن القبائل الأخرى في قارس:

- حَيْدَرانلو: تقيم قرب مَلازْكِرْت شمالي وان، وهي كبيرة.

- آدَمان Adaman أو آدَمَنْلي Adamanli: وجدها سايكس في الجيب التركي داخل إيران والاتحاد السوفياتي [سابقًا]، قرب نقطة تلاقي حدود الدول الثلاث، وهي كبيرة.

- زِيلاني Zilani: تقيم شرقي كاغِيزْمان Kagizman.

- حَمْدِكان Hamdikann: وجدها سايكس جنوبي كاغيزمان قرب آغري.

- مانُورانلي Manuranli: تقيم جنوبي آغري.

- حسّانانلي Hassananli: تقيم شمالي وان، وتعدادها ثلاثة آلاف عائلة في عهد سايكس، وهي بالقرب من هِنِس Hinis وملازكرت وفارتو Vartu.

- شيخ بزيني: تعدادها(٤٥٠) أربعمئة وخمسون عائلة في عهد سايكس، وتسكن عدة قرى قرب أرضروم وفي أماكن أخرى، ولعلهم أقرباء قبيلة (شيخ بزيني) جنوبي أربيل في العراق.

- جَبْرانلي: يمتد موطن هذه القبيلة إلى الغرب باتجاه منطقة مُوش- بَتْليس، وحسبما يذكر سايكس هي اتحاد مؤلف من ثماني قبائل هي: مُوخيل Mukhel، عرب آغا، تُورِيني Torini، عَزْدِيني Asdini، شَيْخكان Sheykhekan، مامَجان Mamagan، شادَرْلي Shaderli، وبَلّيكان Bellikan وهي كبيرة تتحدث بلهجة زازا، وهي شيعية المذهب.

- زِيرِيكان Zirikan: تتألف هذه القبيلة من ستة آلاف عائلة حسبما ذكر سايكس، وتقيم جنوبي أرضروم، قرب هِنِس وتَكْمان Tekman.

- مالْبات Malbat: تقيم قرب موش، ولم يذكرها سايكس في تصنيفه.

- رَشْوان Rashwan: تقيم جنوبي أرضروم.

- گردى Girdi: تقيم قرب قارس وآغري، وله علاقة قربى بقبيلة گردى في العراق.

- سپيكان Sipikan ، أو سپيكانى Sipikanli (حسب سايكس): تتألف من ثلاثة آلاف عائلة، وتقيم شمالي بحيرة وان حسبما يذكر سايكس، وقد ذكر أن لهذه القبيلة طرائقها الخشنة في النسج، شأنها في ذلك شأن قبيلة حيدرانلو.

- مامَكانلي Mamakanli: يُحتمل أنها فخذ من سپيكانى.

(٣)

قبائل ولايات

ملطية وألازيغ وسيواس

معظم النساجين من ملطية (١٨٥٠٠٠ نسمة) وألازيغ (١٤٣٠٠٠ نسمة) وسيواس(١٧٥٠٠٠ نسمة) سكان مستقرون، ينتسبون إلى قرى معيّنة أو إلى قبائل في المقاطعات الثلاث، وبعض المعلومات حول هؤلاء النسّاجين متاحة في سوق (بازار) ملطية، لكنها قليلة جداً في سيواس، وقد أوردنا في القائمة التالية القبائل الكبرى التي ذكرها سايكس، مضافاً إليها المعلومات التوضيحية التي استطعنا من الحصول عليها:

- درژان Derejan: قبيلة مهمة جداً على صعيد إنتاج السجاد في منطقة ملطية.

- سِينان Sinan: هذه ليست قبيلة، وإنما هي قرية تقع شمالي ملطية، وعلى أية حال إن سكان سينان والقرى المجاورة يتحدثون وكأنهم كانوا ينتمون إلى قبيلة.

- پورغا Porgha: صنّفها سايكس على أنها (بَيْليان پورغا Beyleyan Porgha)، وهي قبيلة تنسج السجاد.

- سِينمانِنْلي Sinmaninli أو سِينانِنْلي Sinaninli: نحن أيضًا صادفنا هذه القبيلة في منطقة (غازي عينتات)، وهي قبيلة كبيرة جدًا بحسب ما ذكره سايكس، كان تعدادها (٢٥٠٠) ألفان وخمسمئة عائلة في عهده، وذكر أنهم شيعة، ويتكلمون بلهجة ليست بعيدة من الفارسية الحديثة.

- مالِكان Malikan:تقيم شرقي ملطية قرب آكجه داغ Akchadagh، وهم ينسجون السجاد والكِليم Kiklims.

- جالِكان Jalikan أو جَلّيكانلي Jellikanli حسبما ذكر سايكس: وجدت أيضًا في مقاطعة غازي عنيتاب.

- شافاك Shavak: قبيلة كبيرة وذات أهمية في مجال حياكة السجاد، وانتشرت في منطقة واسعة شمالي ألازيغ في منطقة درسيم قرب تونجلي Tuncheli وجِميشْكَزَك chemishkezek، وقد صنّفهم سايكس باعتبارهم " شواك " Shawak.

- درسيملي Dersimli: ذكر سايكس أن درسيملي لقب للكرد الذين يعيشون في منطقة درسيم شمالي ألازيغ، وقد صنّف القبائل الدرسيملية كالتالي: شاواك (شافاك)، فَرْهاد، أُوشاغي Ushaghi، بَخْتيارلي (قرب جمشكزك)، وكَرَه بانلي [قَرَه بانلي]، ومَيْرزانلي، وعبّاسانلي، وبلاشاغي Balashaghi. ولاتشين أوشاغي، وكوزليچان Kuzlichan. وثمة أيضًا بعض الكرد الرُّحّل في المنطقة، وهم يسمون أنفسهم كوچمان Kochman أو كوّچر Kocher.

- كوچكيري Kochkiri: قبيلة كبيرة جدًا، وجاء في قائمة سايكس أن بعضهم يقيمون شمال شرقي سيواس، وذكر أنها قبيلة لها خصوصية من حيث اعتناق مذهب وحدة الوجود، ولها لهجة كردية يفهمها الكرد بصعوبة.

وحسب الروايات كانت هذه القبيلة تعيش سابقًا في درسيم، وقبيل الحرب العالمية الأولى وصفها سايكس بأنها قبيلة غير مولعة بالقتال، وخاضعة للدولة، ومهما يكن فقد ثارت هذه القبيلة على الحكومة التركية سنة (١٩١٤م)، وذكر سايكس من فروعها: سارُولَر Sarolar، بارلُولَر Barlolar، گارُوالَر Garoalar، وإيبُولَر Ibolar.

- كُريشلي Kureshli: كان تعدادها ألفي عائلة في عهد سايكس، وهم يتحدثون الكرمانجية، ويقيمون جنوبي أَرْزِنْجان Erzinjan، شرقي سيواس، وقد صنّفهم سايكس باعتبارهم شبه قبلية Sub-Tribes وعلى أنهم من بالابْرانلي Balabranli، وشادِرْلي Shaderli، وبادَلي Badeli.

(٤)

قبائل ولاية دياربكر

قبل وصول العرب إلى دياربكر في القرن السابع الميلادي كانت تسمى آمِد Amida. أو آمِد السوداء، بسبب أسوارها البازلتية السوداء وأبراجها التي بدأت القسطنطينية بتشييدها في القرن الرابع الميلادي، والتي استمر تشييدها في عهد الإمبراطور جُسْتنيان Justinian. وزخرفها الحكام الترك الذين حكموها أخيرًا، وتعدادها (٢٣٣٠٠٠ نسمة)، وهي الآن العاصمة السياسية لكردستان التركية، ويسكن مدينة دياربكر خليط من الكرد والترك، ومعظمهم على أية حال لا ينتمون إلى قبائل معينة.

وتقع جزْرة جنوبي دياربكر، وفي جزْرة أقامت عائلة الأمير بدرخان الحكم في القرن التاسع عشر حاكمةً إمارة بُوتان، وفي جنوبي دياربكر تمتد كردستان داخل شمالي سوريا، حيث تصاهرت بعض القبائل الكردية مع القبائل العربية.

وتوجد في شمالي دياربكر عدّة قبائل ذكر سايكس أنها شيعية أو وثنية، ومن المعتاد أن يوجد في دياربكر تجمّعات هامة من المسيحيين الكلدان واليعاقبة والسريان الكاثوليك، ومازال قسم منهم قرب ماردين خاصة، وثمة بعض الإيزديين أيضًا.

- مِللي Milli: ذكر سايكس أن إبراهيم باشا حينما كان زعيمًا لاتحاد مِللي القَبلي لم يكن له سوى ثلاثين خيمة (عائلة)، لكن سلطته توسّعت لتشمل أكثر من ألفي عائلة، ووصل نفوذه بعيدًا إلى أَرْزَنْجان في الشمال. وذكر سايكس الخلاف التقليدي بين الترك والكرد داخل قبيلتي ميلان Milan وزِيلان Zilan وتأييد قبيلة مِللي لميلان.

وأورد حينذاك اسم أربع وأربعين قبيلة تعدّ نفسها من منطقة ميلان. وفي العصر الحاضر ليس للقب مللي سوى أهمية محدودة.

- دَقُوري Dakhori: تقيم جنوب غربي دياربكر.

- مِيرسِينان Mirsinan: تقيم جنوبي دياربكر.

- مُسْلِم، يزيدي، والقبائل المسيحية في منطقة طورعبدين قرب ماردين: القبائل التي صُنّفت من هؤلاء على أنهم كرد هي: مِزيزاخ Mizizakh، مَحَلَمي Mahalami(هي خليط من الكرد والعرب وبعض النصارى)، هارُونا Hruna (كرد ومسيحيون)، مُومان Moman (كرد ومسيحيون)، هَفيرْكان Haverkan (كبيرة)، گرگرى Girgiri، داسِكان Dasikan، آليان Alian، مِزيداغ Mizidagh.

- آتْمانِيكان Atmanikan:كانت هذه القبيلة تعدّ خمسة آلاف عائلة في عهد سايكس، وكانت حينذاك قبيلة كبيرة من الرحّل يتنقّلون من منطقة دياربكر باتجاه الشرق إلى الحدود الإيرانية.

- مُودكي Modeki أو مُوتِكان Motikan: من الواضح أن هذه القبيلة الكبيرة المتكلمة بلهجة زازا اكتسبت اسمها من مدينة موتكي Mutki الواقعة غربي بحيرة وان مباشرة، والقبائل المتحدة مع موتكي تضمّ كَيْبُوران Keuburan، بُوبانلي Bubanli، كُوسان Kusan، رَيْتْشابا Rytshaba، زَيْدان Zaidan، أرِكْلي Erikli، وپيرموسى Pirmusi.

- خزالي [غزالي] Khazali: ذُكرت هذه القبيلة والقبيلتان التاليتان من قبل سايكس دونما تفصيل.

- دَبَري Deberi.

- مُوسي Musi.

(٥)

قبائل

مقاطعة آدِيَمان Adiyaman

تضم آديمان (١١٥٠٠٠ نسمة) خليطًا من الترك والكرد، وكثير من الكرد فيها أصبحوا قبليين منذ فترة ليست بعيدة. ومنطقة پِيشْنيك Pishnik التي تمارس النسج، والتي يقطنها الكرد الشيعة، ومركزها قرية پِيشْنيك، وهي تبعد حوالي عشرين كيلو مترًا شمال غربي آدِيَمان. وغالبًا ما يتحدث الپِيشْنيك على أنهم قبيلة، وتوجد قبيلة خَدْسُور Khedsor في منطقة پِيشْنيك التي هي من المذهب العلوي (شيعة).

- رَشِي Rashi (چيارش chiaresh حسب سايكس): هذه أضخم قبيلة في المقاطعة، تقطن جبالاً شمالي وشمال غربي آدِيَمان، ويقيم آغاوات القبيلة في كاهته Kahta (بالكردية: كُولِيكِين Kulikin).

- زِرافْكان Ziravkan (زِرُوسكان Ziroskan حسب سايكس): هي فرع من قبيلة رَشي Rashi، وهي سنية المذهب تقيم قرب قره جه داغ Karajadag، ويقيم آخرون منها قرب كاهته Kahta.

- برِيْسان Brimsan: تقيم في منطقة كاهته.

- تَشِيك Teshik: تقيم في الجبال الواقعة في شمالي كاهته.

- كُووا Kowa (كاو Kao حسب سايكس).

- جَانْ بَك Janbag: قبيلة كبيرة كادحة مجدّة، تقيم بين آدِيَمان وسِويرك Siverek قرب الفرات.

- إيزُول Izol (إيزولي Izoli حسب سايكس): قبيلة كبيرة جدًا تقيم بين آدِيَمان وأُورفه.

- كُوتي Koti: تقيم شمال شرقي آدِيَمان باتجاه ملطية.

- مَرْدِيس Merdis: قبيلة كبيرة تقيم في الجبال الواقعة شمال شرقي آدِيَمان قرب نارِنْس Narince.

- آلِيكان Alikan: تقيم شمال شرقي آدِيَمان، وذكر سايكس مَواطن لقبيلة رحّالة آليكانلية جنوبي بحيرة وان.

- بَزِيك Bezik: ذكر سايكس أن اسمها بَسِيك Besik، وذكر أيضًا أن قبيلة باسم بَسِيك تقيم بعيدًا في الشمال قرب أرضروم. وقبيلة بَسِيك كبيرة تقيم على ضفاف الفرات جنوبي أدِيَمان قرب سَمْساط Samsat.

- قَرَه كيچلى Karakichili (قەره گێچ Karagetch حسب سايكس): تقيم قرب سويرك، عند منحدرات قَرَه جه داغ Karajadag وجنوبي أورفه، وهي كبيرة أصولها تركمان، ومنها فرع ينتمي إلى أصول كردية.

- بَشْنِي Beshni: تقيم في مدينة آدِيَمان.

(٦)

قبائل مقاطعة

غازي عينتاب - مَراش

يقيم في هذه المقاطعة:

- اتحاد قبائل بَرَازي Berazieh، وكان تعدادها تسعة آلاف عائلة في عهد سايكس، وقد صنّف ضمن هذا الاتحاد قبائل: كَيتْكان Keytkan، شَيْخان Shykhan، أُوكْيان Okian، شَدادان Shadadan، على دِنْلي Alidinli، مَعافان Maafan، زَرْوان Zerwan، پيژان Pijan، قره گيچان Karagetchan، دِنان (دِينان) Dinan، مِير Mir، دِيدان Didan.

- كِيكان Kikan أو كِيكِيه Kikieh: كان تعداد هذه القبيلة (١٢٠٠) ألف ومئتا عائلة في عهد سايكس، ويوجد الكيكان أيضًا في محافظة حلب بسوريا، وفي سوق غازي عينتاب (٣٧١٠٠ نسمة)، وقد وجدنا منسوجات بسيطة تُنسب إلى القبائل التالية: دَرِكانلي Derikanli، مالِكانلي Malikanli، رَشِي Rashi، آتْمالِك Atmalik، وبَرَشاتلي Barashatli (واسمها بَرَكاتلي بحسب سايكس، وقدّرها بألف عائلة). ومعظم هذه القبائل تقيم في الشمال الشرقي باتجاه آدِيَمان.

(٧)

قبائل مقاطعات

سيهان بيلي Cihanbeyli،

جانكيري Chankiri، جوروم Chorum

تقع هذه المدن الثلاث في الهضبة الواقعة قرب أنقرة، وأُطلقت أسماؤها على البسط والكِليم المميّزة، وبحسب ما ذكره سايكس فإن السلطان سليم الثاني جلب قبائل جُودي كانلي Judi Kanli وخال كاني Khal kani وسَيف خاني Saif Khani إلى منطقة سيهان بيلي في القرن السادس عشر الميلادي، ومنذ ذلك الحين هاجرت بعض القبائل وعناصر من قبائل أخرى إلى هذه المنطقة بين قونيه وأنقرة، وانتقل إليها بعضها الآخر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وليست لدينا معلومات عن كرد جاكيري وجوروم.

(٨)

قبائل الكرد في سوريا

إن عدد الكرد في سوريا بين ستمئة ألف وتسعمئة ألف نسمة(٢٧)، وهم امتداد طبيعي للكرد في تركيا" لأن معظمهم يعيشون قرب الحدود السورية التركية الطويلة التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر دجلة في جِزْره، مع أن كثيرين كانوا يقيمون فيما يسمى الآن (سوريا) منذ أجيال (في دمشق حي كردي ضخم)، وهاجر بعضهم من تركيا حديثًا سنة (١٩٢٠م)، وجلبوا معهم انتماءهم القبلي، ويتكلّم كثير من كرد سوريا الكرمانجية التي يتكلم بها كرد تركيا إلى جانب اللغة العربية، في حين تعرّب بعض الكرد الذين مر عليهم في سورية زمن طويل بشكل كامل.

ويعيش حوالي ٣٥٪ من كرد سوريا في مناطق تقع شمال وشمال غربي حلب، وتحديدًا في منطقة جبل الكرد قرب مدينة عفرين، وهؤلاء الكرد في معظمهم غير قبليين، هذا على الرغم أن عناصر من قبيلة كيكي أو(كيكيه) استقروا في منطقة حلب. وبالتوجّه شرقًا على امتداد الحدود توجد جيوب يسكنها أفراد عناصر من اتحاد قبائل بَرازي، وبعدئذ انضم هؤلاء إلى اتحاد مِللي(٢٨).

čĒ- الحقيقة أن هذا العدد تقريبي، ولم يعتمد الكاتب إحصائية رسمية دقيقة لتحديد عدد الكرد في سوريا، إذ لا توجد مثل هذه الإحصائيات أصلاً، لكن إذا أخذنا بالحسبان نسبة التكاثر الطبيعية في سوريا فلن يقل عدد الكرد عن مليونين بأي حال من الأحوال- المترجم.

čē- عفرين هي مدينة المركز للمنطقة التي كانت تسمّى (كرد داغ= جبل الكرد)، والحقيقة أن الغالبية العظمى من كرد منطقة عفرين هم ذوو أصول قبلية، والدليل على ذلك أن القرى التي يسكنها كرد ينتمون إلى قبيلة واحدة هي قرى متجاورة، مثل قرى شِكاك، وشيخان، وبِيا، وهشتيا، وغُباري، وشيروان، في حين ينتمي معظم سكان منطقة (جومه) إلى عشيرة (دِنان). وكان - وما زال- لكل مجموعة من القرى آغاواتها وزعماؤها المعروفون.

لكن الفرق بين الكرد في منطقة سرى كانيه (عين العرب) وكرد الجزيرة والكرد في منطقة منبج ومنطقة الباب ومنطقة أعزاز ومنطقة السفيرة من ناحية، وبين كرد منطقة عفرين من ناحية أخرى، هو أن الانتماء القبلي قوي عند الفريق الأول، وكثيرًا ما تقوم العلاقات فيما بينهم على

وفي مدينة عامودا وحولها تسكن قبائل: شُوَيْش Shueaish وجبّاره Gabbara ودَقُوري Dakhori. ويقيم في سورية حوالي (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرون ألف إيزدي، يتوزّعون بين منطقة عامودا وفي منطقة شمال غربي حلب[منطقة عفرين].

وفي أقصى الجزيرة قرب دجلة يقيم كرد آشِيتا Ashita، وهَفيركا Haverka، وقبائل بُوتان، ومعظم كرد الجزيرة هؤلاء يقيمون الآن في القرى. وإن هؤلاء وآخرين، ممن يعيشون في خيام سود من نمط الخيام العربية، يرتدون ثيابًا كتلك التي يرتديها العرب الحليون، ولكنهم ما زالوا محتفظين بثقافتهم ولغتهم الكردية.

ولم نجد أية بسط وبرية تُنسب بشكل دقيق إلى كرد سورية، لكن ثمة أنماط من الكِليم الكردية في منطقة عامودا، وهي شبيهة بتلك التي تُصنَع شمالاً عبر الحدود مع تركيا.

أساس قبلي. أما الانتماء القبلي عند كرد منطقة عفرين فهو ضعيف إلى حد كبير، وهذا ما يجعل الآخرين يظنون أن كرد المنطقة لا ينتمون إلى قبائل- المترجم.